المشرق

نخل العراق وتمره

نظر زراعي واقتصادي

للاديب يوسف افندي غنيمة البغدادي (١

هذا بحثٌ جليل الفائدة اقترحهُ علينا بعض الادباء الاماجد فلبّينا دعوتهم نظرًا لما يتوقف عليهِ من المنافع الزراعيَّة الاقتصاديَّة التي تعود على البلاد بالنفع العميم والخير الجزيل . لأن احدى دعائم عمران الاوطان هي الزراعة

النخل شجر عظيم يدعى باللسان العلمي (phoenix dactylifera) وينبت في الارجاء الواقعة بالمنطقة الحارَّة اليابسة الممتدَّة من جزائر كناري حتى خليج فارس وضفاف النهرين الشهيرين الدجلة والفرات . وان ذكرهُ مترغل بالقدم وربَّما تجاوز الأعصر التاريخيَّة . وقد ذكرهُ السيَّاح القدماء الذين لفظتهم الايام الى مواطن زراعتهِ وسندًا لقولنا هذا ندوّن نصًّا مهمًّا في هذا الصدد ورد في تاريخ هيرودوتس الطائر الشهرة (١ ع ١٩٣) قال : وترى عندهم (أي عند البابليين) السهول مكسوَّة بشجر النخل أكثرها مثمرة فيأكلون بعضها ويستقطرون من بعضها الآخر خمرًا وعسلًا وغرسهُ مثل غرس شجر التين في بلادنا ويلقحون الانثى من تمر النخل الذكر فيدخل البعوض بالبلحة وتنضج ولا تعود تسقط على مثال التين البرّي . اه . والرَّحالة نفسهُ يروي عن وجود النخل في بلاد مصر في مدينة طيبس في معرض كلامهِ عن هيكل هذه المدينة . ولم

---

(١) لكاتب هذه المقالة وناقش بردنا محلٌّ تجاري في بغداد ومن جملة الاصناف التي يتعاطاها البلح

يبقَ هيرودوتس فريداً في ذكر هذه المسئلة بل شاركهُ فيها الجغرافي الطائر الصيت استرابون اذ يحكي عن وجود النخل في بلاد الحجاز ولابة . اما نبتهُ في جزائر كناري فقد اخبرنا عنهُ بلينوس ومع هذا لم تُحرم منهُ غير بقاع بل يُغرس في مدينة الخ(Elche) من أعمال اسبانيا وفي بلاد اليونان وغيرها فغيرها وقد نُقلت مؤخرًا هذه الفصيلة من خليج فارس والبصرة الى البلاد الاميركية . إلّا ان في هاتيك الرابع لا يُجنى من النخل غلة ذات أهمية تقتضي درساً خصوصيًا . ولهذا حصرت بحثي في نخل العراق وحدهُ . ومن زار البلاد العراقية يشاهد من بعدٍ شاسع اراضي واسعة الاطراف بعيدة الاكناف ينتصب فيها عددٌ لا يحصى من النخل كأنها ربات الدلال وملكات الحسن والجمال قد تمالين على جميع النباتات والاشجار والمزدرعات وبالحقيقة ان منظر النخل على ضفاف الدجلة منظر فتّان من اجمل مناظر الطبيعة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر الألباب بسحر الحلال

١ النخل وكيفية زراعته

لزرع النخل طريقتان الواحدة زرع النواة غير ان هذه الطريقة ليست مستحسنة اذ لا تنبت إلّا نخل الفحل الذي لا يُجنى منهُ سوى اللقاح او تنبت فقط نخل الدكل الذي يثمر ثمرًا من شكل دقي قليل الحلاوة عسر المضم لكثافة اجزائهِ وخشونتها . اما الطريقة الثانية فبأن تُقلَع الفراخ التي تنبت حول أمها وتغرس في التربة فهي التي يعمل بها اليوم في بغداد والبصرة وضواحيها . والثالة الواحدة تباع بغرشين او ثلاثة غروش حسب شكلها وكبرها . وأشهَر موسم زرع النخل الربيع . قلتُ « اشهره » لأن منهم من يزرعهُ في الخريف وغير فصولٍ وذلك نادرٌ لا يُعوَّل بهِ . ولإتقان زرع النخل شروط اذكر أهمها نقلًا عن مقالة مطبوعة في آخر كتاب مطالع السعود في تاريخ الوزير داود وطبّقتها على كيفية العمل عندنا اليوم فرأيتها لا تختلف في شيء ابدًا :

الشرط الاول . انهم يحفرون حفرة مقدار متر في متر وتسمّى في اصطلاح اهل الحجاز الفقرة ثم يردمون ثلثيها بترابها ويتركون الثلث الباقي حفرة وهناك يغرسون الصنو ثم يسقونهُ كل يومٍ بماء قليل بشرط ان السقي لا يغرق قلبهُ مدّة ستين يوماً الى ان يتراءى لهم ان الصنو قد نبت وتبت لهُ عروق جديدة في الطينة ورمى بسُعَيفات صغيرة جديدة فحينئذٍ يزيدون الردم عليهِ مقدار عشرة سنتمترات ولا يزالون هكذا كلما أنبت

وزاد سعفاً جديداً ونما الى العلو يردمون حوله تراباً جديداً الى ان يتحقق لديهم انهُ قوي وثبت وكثر سعفهُ فحينئذٍ لا بأس من ان يسقى الماء بقوةٍ حيث يؤمن عليهِ من ضرر الغرق

الشرط الثاني. انك تجعل ما بين كل نخلةٍ والأخرى اقلهُ عشرة امتار وقد جربنا ان النخل المتقارب لا يطرح إلاَّ شيئاً زهيداً اه. (قلتُ) ان هذه المسافة هي ضعف المسافة التي يجعلونها في بغداد بين نخلٍ ونخلٍ. وبين النخل في الارض الحالية تُزرع الاشجار المثمرة كالليمون والبرتقان والنارنج والبقول وغيرها. وكيفية سقي النخل في بغداد كان اوَّلاً بواسطة الكرود فقط (ولمعرفة هذه الطريقة عليك بمراجعة مقالة جناب الدكتور نابوليون الماريني التي مرَّت في احدى سنوات المشرق ٤ : ١٠٢١). اما اليوم فقد تحسنت نوعاً وشرع الزارعون يستعملون النواعير الخشبيَّة والحديديَّة والطلمبات التي تتحرَّك بالبخار والغاز البترولي. وفي البصرة يسقون الاراضي بواسطة المدّ والجزر. فاذا صعد الماء في وقت المدّ يتدفق في غيطان النخل بدون نصبٍ ولا تعبٍ. والنخل في بدء غرسهِ يلزمهُ كميَّات وافرة من الماء لريهِ اما إذا اشتدَّ ازرهُ وكبر صبر على العطش اكثر من جميع نباتات العراق ومزدرعاتهِ. وصنو البصرة اسرع بنشوءِ من تال بغداد وربَّما اعطى تمرًا بعد سنتين او ثلاث سنين من غرسهِ ومن وطئ تالك المدينة يتضح لهُ صحَّة مقالي واذكر ان في اثناء رحلتي اليها سنة ١٨٩٣ شاهدت نخلاً يمكن الانسان قطف تمرهِ وهو جالس على الارض. اما سائر التال فيعطي غلتهُ في السنة السابعة أو الثامنة من غرسهِ. والنخل ينبت في الارض ويمدُّ عروقهُ في بطنها الى مسافة بعيدة كسائر الاشجار الباسقة التينة الجذع ويعلو مرتفعاً كل سنة نحو ٣٠ سنتيمترًا ويبلغ علوه من السبعة الى العشرة امتار ويعمر نحو سبعين او ثمانين سنة. ولمَّا يحين شهر شباط يُزهر سعفهُ البالغ ويقص منهُ بعض الكرب من اعلاه. وجذع النخل ليس سويًّا معتدلاً بل هو على هيئةٍ سلمٍ. ناتئة منهُ بقايا الكرب وما الكرب إلاَّ مؤخر السعفة. ثم انَّ في قمة النخل عددًا من السعف ثلاثة طبقات منهُ أو اكثر تتدلَّى افقيًّا وخصلة من أحدث السعف تنتصب عموديًّا في أعلى قممٍ. ويبلغ طول السعفة مترين وفيها الخوص وهو بمثابة الاوراق في سائر الاشجار وكل خوصةٍ تنتهي برأسٍ رفيعٍ مشوك ومن حيث هيئتها تشبه كثيرًا ريشة الطائر

في منتصف آذار او في اواخرهِ يظهر في اعلى قممٍ من جذع النخل الطلع ويعد

نحو عشرين يوماً ينفتح الغلاف ويخرج العنقود فحينئذٍ يحين زمن التلقيح ويصعد الملقح على النخل بواسطة الكرّ وهو التبلية بلهجة العراقيين . ومعهُ من لقاح الفحول فيجرد الغلاف تماماً اي الطلع وينثر عن كل عذقٍ قليلاً من اللقاح . وكل نخلةٍ تحمل من العذق الى ١٣ او الى ١٤ عذقاً إلّا انَّ اصحاب الاملاك اذا رأوا كميّة الحمل تتجاوز ثمانية او عشرة اعذاق قصّوا البقية طلباً في تحسين نوع التمر وخشيةً من انهاك النخل . يتألف العذق من خشبةٍ طويلة بقدر نصف المتر تقريباً وبجانبهـا الشراميخ حتى نصفها وباطراف الشراميخ ينبت التمر . وعندما يظهر يكون ابيض اللون ثم بعد التلقيح بايام قلائل يشرع بالاخضرار (ويدعى باسان اهل العراق الطوش) ثم يحمرّ او يصفرّ حسب شكل التمر فيكون خلالاً وهـذا الطور يحدث في منتصف حزيران او اوائل تموز وفي اواخر هذا الشهر حتى آب يتمّ نضجه فيباع بالسوق بكميّات وافرة واثمان زهيدة نجـة

جدول لاشهر اسماء التمر

اشرسي	جمفري	چايان	جوزي
بدراية	بصراوي	اسماعيل قادري	اصبع العروس
زهري	بدنجاني	كرين مرماغي	عمامة القاضي
مكتوم	برين الدبرم	قره اشرسي	سكري
خستاوي	بربن	ريحاوي	ساتر
تبرزل وقديماً الطبرزد	كدكاوي	دگل زهدى	ميرحاج
خضراوي	بادي	دكل مكتوم	كرسي
حلاوي	قرنفلي	طباشي	الخ الخ الخ
برم	عرب سيكي	سلطاني	
كاكاوائي	نباتي	بنفسجي	

ملاحظات

اجود اجناس التمر المتداولة على افواه البغاددة الخستاوي وهو أرغبها وأحسنها ثم المكتوم والتبرزل وبعدهُ الزهري إلّا ان هذا الجنس الاخير ينفق اكثر من الجميع يأكلهُ الفقة لرخصهِ وكثرة موادّهِ ولهذا يدعونهُ مسمار الركب ويشحن الى سوريا ومصر اما البدارية والاشرسي فيُقطفان في اوان نضجهما ويحفظان مؤونة للشتاء . واشهر مواطنهما مندلي (وهي البندنيجين التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان) والبرين او البريم منبته

في البصرة ومنهُ يصل الحلال المطبوخ . أمَّا الخضراوي والحلاوي والساير فأنواعها من أشهر تمر البصرة وتوسق الى اوربا واميركا وسوريَّا والهند وسواحل خليج فارس مثل بوشهر والكويت ومسقط والبحرين وطنجه في صناديق وزن الصندوق بين الـ ٦٥ والـ ٧٠ پاون (الپاون وزن انكليزي عبارة عن غرام ٤٥٣٦) ومنها ما يكدس في خصاصيف (والخصافة كيس من الخوص) . ويقدَّر التمر الذي يوضع في الصناديق في البصرة من ٣,٠٠٠,٠٠٠ الى ٣,٥٠٠,٠٠٠ فتأمل يا صاح اي ثروة تدخل البصرة سنويًّا من هذه الفاكهة (١

٣ منافع النخل

ان اهالي العراق لا يتركون قسمًا من هذه الشجرة يذهب سدى بدون ان

---

١) هذه بعض فوائد زادها حضرة الاب انستاس الكرملي في تجارة تمر العراق ارسلها الى ادارة جريدة البشير قال :

وأشهر مدن العراق التي يرسل اليها التمر مَنْدَلي (البندنيجين) وبغداد والبصرة . أمَّا تمر مندلي وبغداد فلا يحتمل البقاء على البحر والسفر يؤذيهِ ولهذا يفسد بعضهُ بخلاف تمر البصرة فان نقلهُ على ظهور البحار لا يضرُّهُ ضرر من الأضرار ولهذا فانهُ يُنقل الى نفس البلاد التي فيها تمر . كالجزائر وتونس ومصر لان دخولهُ بلادهم يزيدهُ تحسُّنًا في الطريق فيباعهُ الناس باثمان بخسة ويبيعون تمرهم باثمان عالية

واليك الآن بيان التمر الذي صدر في سنة ١٩٠٦ فانهُ أُرسل منهُ ٢٠٠,٠٠٠ صندوق وزن كل واحد منها ٣٠ كيلوغرامًا فيكون الصادر عبارة عن ٦,٠٠٠ طنّ التهمتهُ ثغور اميركا فقط . والذي صدر الى ثغور البحر الاحمر وديار الغرب من اوربا والجزائر وتونس ومراكش يبلغ نحو ٣,٢٠٠,٠٠٠ صندوق وهي عبارة عن ٧٠,٤٠٠ طنّ

فهذه الارقام تخيف خوف الارقام وهي لا تزال مع ذلك الَّا ازديادًا ومن ثمَّ زاد الاعتناء بزراعتهِ وارتفعت اسعار الاراضين التي تغرس اشجاره فيها . هذا والملَّاكون لا يدركون ثأر الطلب اذ تخيلهُم لا يكفي وقبل سنين او ثلاث ما كانت تسع إلَّا باسعٍ

واما الثغور التي تحمل اليها الثُّمور فهي اليوم : لندن ومرسيليا وهمبورغ ووهران وتريسته وبافا وبيروت والاستانة العلية وتيوبرك وجدَّة والبحرين وعبي وعدن وغيرها . إلَّا ان لندرة لها المقام الاول ولذا قدَّمناها على غيرها . لانها تستقبل في السنة ١,٠٠٠,٠٠٠ صندوق في السنة تقريبًا لان سائر المدن تستقبع من اسواقها . ومن بعد لندن تأتي في الاهمية مرسيليا وقد تضاعف الصادر اليها في هذه السنة باربع مرَّات على ما كانت عليهِ قبل اربع سنوات والسبب لان سوق هذا الثمر الفرنساوي من أحسن الثغور للاستيضاع وللشراء ولان ما يحمل الى تونس والجزائر يؤخذ اغلبهُ من مرسيليا لا من البصرة توًّا

يستخدموه لمنافعهم العيشيَّة ويجنون منهُ الفوائد المتضاربة الاشكال . فمن الياف الخوص تُحاك الحصران والحبال وتُعمل الخصاصيف وجميع المكانس المستعملة في بغداد والبصرة والموصل . وكذلك السلال والطباق لا بل القفف التي تسير على دجلة كقوارب اهل بغداد تُتَّخذ من النخل وهي التي تقلّهم من مكان الى آخر ويتنزهون بها بالنهر فيهم يعملونها من الخوص قبل ان تطلى بالقار . والسعف علامة الانتصار والظفر يزيّنون بهِ في ايّان افراحهم كنائسهم ومحلّاتهم الرسميَّة وبيوتهم . واليابس منهُ يشعل في الموقد كما يشعل ايضاً الكرب . والكرب يدخل في فنّ السباحة بمثابة طوّافة وفي بغداد لا يعرف غيره لتعليم السباحة فيشدّ على ظهر وبطن المتعلم ثلاثة او اربعة اكراب وعندما يتمرّن يلقيها عنهُ تدريجاً . ويستعمل جذع النخل لتسقيف البيوت الحقيرة ويتخذ منهُ معابر للجداول الصغيرة وقوائم لبناء الكرود . وفي اغلب الاحايين يُفلق شقفاً صغيرة ويُجعل في المواقد . وبالياف النخل تحشى برادع الحمير التي تصنع في بغداد . ولا تقف هبات النخل عند هذا الحد ويقطع عن العراقيين جداول سخائهِ بل يفيدهم فائدة أخرى ألا وهي استقطار ماء الطلع وكيفيَّة عمل ذلك لا تختلف ابداً عن استقطار ماء الورد . وهذا الماء يستخدم لإنعاش التنفُّس وتسهيل الهضم وتبديد الارياح

فوائد التمر

يختلف طول التمرة من سنتيمترين الى ٦ س تراها رفيعة الطرفين غليظة الوسط وهي من الاثمار ذوات النواة ونواتها تختلف عن نواة بقيَّة الاثمار فهي متألفة من طبقات متصلبة (cellulose) وعلى طولها يُشاهَد حزٌّ ينتهي بنقطة صغيرة مستديرة ويحيط بها طبقات زلاليَّة (albumine) وفي زمن التوليد يهتم هذا الزلال وتنبت الاصول من تلك النقطة المستديرة . قد سبق القول بان اول فائدة تُجنى من التمر اكلهُ الغذي وذوق حلاوته العذبة . فهو إدام الفقراء وفاكهة الاغنياء ومؤونة البيوت . وكل العائلات في بغداد والبصرة تحفظهُ للشتاء اما في الخصافات واما في الكيش جمع كيشة (راجع المشرق ٨ : ٢٤٥) واما في صناديق من خشب أو متوَّى (كرتون) وعلى هذا النمط يوسق الى البلاد الاوربية ويُتاجر بهِ . والتمر يؤكل مع الخبز وهو غذاء العملة عموماً من بنَّائين ونحَّاتين ونجَّارين وغيرهم ويأكلونهُ ايضاً مع اللبن ويطبخ ايضاً ويعمل منهُ الحلوى وهي لذيذة طيبة

ويُستخرج منهُ السكر وهو عصيره . وصورة اتخاذهِ تختلف كاختلاف البلاد . ففي بغداد مثلاً إذا حان منتصف ايلول رأيت ربّات العائلات مرتبكات في هذا الشغل الشاغل لا بل يتخذنَ عمل السيلان محوراً تدور عليهِ رحى حديثهنَّ في مجالسهنَّ وهذه الحالة تدوم حتى غرّة تشرين الثاني فالسيدات يردنَ الرطب مرداً قوياً ثم يُوضع في القدر ويغلى مع الماء غلياً شديداً حتى يطفو على وجههِ رغوة فيصفّى حينئذٍ ومن ثمَّ ينشر فوق السطح باوعيةٍ وغب مرور ثلاثة او اربعة أيام ينتهي عملهُ . اما سيلان البصرة فاستخراجهُ اسهل فيُكدس الرطب اكداساً ويجري منهُ عصيره . والسيلان يؤكل إمّا صرفاً مع الخبز او يطبخ بالبيض والسمن . وبعد ان يستخرج الصقر من التمر يُستقطر منهُ عصيرٌ آخر يعمل منهُ الخل ومعظم كميّات الخل التي تستعمل في بغداد والبصرة هي من التمر . والثفل الذي يفضل يدعونهُ جبرة ينشّف ويُستعمل كوقود

ان المسكر الوطني في بغداد والبصرة هو العرق الذي يُستخرج من التمر لا غير واذا كان الامر كذلك يجدر بنا ان نفرد لصورة عملهِ بعض الاسطر . يوضع التمر (الزهدي) في براميل زهاء ثمانية أيام ثم يرد ويعاد الى محلهِ فيبقى هناك ثمانية أيام أخر فيُستقطَر ويدعى وقتئذٍ بكياره ثم يستقطر ثانيةً ويضاف إليهِ كمّيّة من المصطكى والزرنباج وقليل من سكّر الطبرزد والهيل وكل خمسين اقة استانه تمر تعطي ٢٦ ليترًا (يدعى برج) وفيهِ من الالكحول من ١٠٠/٥٠ الى ١٠٠/٦٧ ويباع الليتر الواحد بخمسة غروش وفي بغداد يوجد نحو خمسة عشر خمّارة لاستقطار العرق وجميعها تخص اليهود وتستخرج في السنة ٥٠٠,٠٠٠ ليتر من العرق

٥ قطف التمر أو التمرة في البصرة

ان موسم قطف التمر يظهر تماماً في مدينة البصرة فاذا قرب منتصف آب رأيت العملة والكتبة الذين لا يعرفون شغلاً في آناء السنة كلها يسرعون ويتقاطرون افواجاً وزرافات من بغداد إلى البصرة واهالي البصرة يتركون اشغالهم ويقفلون محلّاتهم ويخرجون إلى ضواحي المدينة إلى الخورة وسهيجران ويوسفان وحمدان الخ مع عائلاتهم ويضربون السرائف (جميع سريفة بيت يصنع من القصب والحصران) ويقضون مدّة ٥٠ يوماً او شهرين في نظارة تنضيد التمر وكدسهِ . وجميع العملة الذين يكدسون التمر هم من سكان البصرة ومجاوريها من العرب والعربان . وفي هذا الاوان يرى في البصرة

حركة تجارية لا يشاهد مثلها اناء السنة كلها. غير ان اصحاب الاملاك يكونون غالباً مسبوقين بماليتهم ويستقرضون الدراهم ربًا فاحش اي عشرين في المئة إلى زمن حلول اوان قطف الثمر فيفون ديونهم . ويا حبَّذا لو فُتح هناك مصرف زراعي يُستفيد منهُ اصحاب الاملاك فائدة تذكر. هذا آخر ما اردت تعليقه في هذا المقام والسلام

دير الزَّوْر

اسماؤها ومعانيها حديثاً وقديماً

لحضرة الاب انستاس الكرملي

كتب حضرة الفاضل الاديب عبد الكريم افندي نوري مقالة حسنة في المشرق في دير الزَّور (١٠ : ٣٨) وذكر عنها انها « عريقة في القدم » فاثباتاً لكلامهِ الراهن الذي لا يشوبهُ ادنى ريب اذكر بعض اسمائها القديمة ومعانيها. مقدّماً على ذلك معاني الالفاظ الحديثة اتماماً للفائدة فاقول:

١ً معنى دير الزَّور دير الغابة او الحرَجة. والزور بهذا المعنى مشهور على لسان اهل العراق والجزيرة وما جاورهما من الديار العربية. واللفظة فصيحة قديمة وان لم توجد في كتب اللغة. فقد جاء في لسان العرب ما هذا حرفهُ في مادة « زأر » قال: زأرة الاسد: اجمتهُ. قال ابن جنّي: « وذلك لاعتيادهِ اياها و « زَورهِ » لها. والزارة: الاجمة ذات الماء والحلفاء. والقصب. والزأرة (مهموزة): الاجمة. اه. وعليهِ فتسمية الاجمة بالزَّور فصيح بما انهُ من هذا المعنى اشتقوا لفظة زارة او زأرة ايضاً

٢ً ولهذا السبب عينهِ سموها ايضاً « دير الشعّار » بتخفيف العين لا بتشديدها كما جاء في المشرق والشعّار في العربيَّة : الشجر الملتفّ . وما كان من الشجر في لينٍ من الارض يجأهُ الناس يستدفئون بهِ شتاء ويستظلُّون بهِ صيفاً » وهذا كلهُ يصدق على ارض الدير

٣ً ولمثل هذه العلة سموهُ ايضاً « دير العصافير » لان العصافير لا تكثر الّا في المواطن التي يكثر فيها الشجر . واذ قد شرحنا ذلك تنتقل الى ذكر اسمائها القديمة وشرحها

واول ما ورد ذكرها مكتوباً على ما اتصل الينا الى الآن كان في التنزيل العزيز في سفر الملوك الثالث (٤ : ٢٤) اذ يقول : « لانهُ (اي سليمان الحكيم والملك الكريم) كان متسلطاً على جميع عبر الاردن من تِفْسَاح الى غزَّة على جميع ملوك عبر النهر » اه. فالمراد بتفساح هنا دير الزور بدون ريب . ويضبطها العبريون بكسر الاول اما العرب فيضبطون مثل هذا المصدر بفتح الاوَّل الَّا كلمتين فانهم يكسرون اولها وهما التِلقاء والتِبيان . ومعنى تفساح العبر والمعبر ومثلهُ في العربيَّة « فَسُحَ المكانُ يَفْسُحُ فساحة : وَسُع » . وكل ما تفرَّع على هذا الاصل فمأخوذ من هذا المعنى . وكذلك فَصُحَ ومعانيها فتقول : فصُح اللبن : اذا أُخذت عنهُ الرغوة . » وانما فَصُح لنقص حدث فيه او لزوال ما كان قد تجمَّع على سطحه وهـذا لا يكون الَّا بالانفساح . ومادتا « ف س ح » و « ف ص ح » هما بهذين المعنيين ايضاً في سائر اللغات الساميَّة . فاذ انفسح مَوْطِنٌ من النهر هان على الناس عبورُهُ منهُ

ورواية تَفساح بفتح الاول لغة قديمة فصيحة ومن ذلك اسمها عند اليونان Θάψακος وعند الرومان (Thapsacus) فقد ذكر مؤرِّخو هاتين الامتين الاقدمون منهم هذه المدينة بهذا اللفظ . ومنهم (Xénoph. : *Anab.* l. 4; Arrian.: *Exp.* : *Alex.* 2, 13, 3, 7; Curt. 10, 11, 19; Strabo XVI, p. 1082) وغيرهم كپلينيوس ومن اخذ عنهُ . ويتحصل من كلامهم انها كانت مدينة كبيرة غنية واقعة على ضفة الفرات الغربيَّة عند موطن منهُ يمكن للمرء ان يعبرهُ خوضاً . وكان الذين يذهبون من الجزيرة والعراق الى بادية العرب او الى الديار الشامية يعبرون الفرات عند موقع تفساح ولم تكن يومئذٍ بعيدة عن مصب الخابور كما انها اليوم قريبة منهُ ايضاً . وقد اكثر الواصفون من ذكرها في كتبهم القديمة ويرتئي اغلب العلماء ان ملوك أشور كانوا يمرُّون بهذه الطريق عند ذهابهم الى ديار الشام . وهكذا فعل الاسكندر الكبير

وقد اختلف الافرنج والاعاجم في كتابة اللفظة لخلو لسانهم من الحاء الحلقيـة ومنهم من حذفها بالمرة كما فعلوا بغيرها كلفظة حواء وغيرها

اما بنو آدم فانهم ابدلوا هذا الاسم باسم آخر يناسبهُ معنًى ويخالفـهُ مبنًى فانهم نقلوا الى لغتهم كلمة تفساح بلفظة « صندوديا » وبموجب اللغة المشهورة « صندودا » من مادة (ס נ ד) ومعناهُ : خلا واقفر . ومنهُ في العربية صديَ الرجل : اذا عطش .

وسبب تسمية ذلك الموضع من الفرات بهذا الاسم ظاهر مما بيّناه من انفساح الماء هناك حتى كأنهُ يخلو ويفرغ منهُ عتيق النهر او كأنهُ يعطش هنالك (١

وقد تأثر سائر العرب من تقدّمهم من القرون والاجيال بعبورهم صندوداء عند ذهابهم الى الديار الشاميَّة او الديار العربيَّة وقد اكثر المؤرخون من ذكر هذه المدينة واهلها عند ذكرهم الفتوح. قال في كتاب الخراج لابي يوسف (ص ٨٦) : « ثم بعث [خالد بن الوليد] سعد بن عمرو الانصاري في جمع من المسلمين حتى انتهى الى صندوداء وفيها قوم من كندة ومن إياد نصارى فحاصرهم اشدّ الحصار ثم صالحهم على جزية يؤدّونها اليه. واسلم من اسلم منهم. واقام سعد بن عمرو بموضعه (صندوداء) في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان رضه حتى مات. فولدهُ هناك الى اليوم. » اه

وقال البلاذري (ص ١١٠) « فسار خالد من عين التمر فأتى صندوداء وبها قوم من كندة واياد والعجم فقاتلهُ اهلها فظفر وخلّف بها سعد بن عمرو بن حرام الانصاري فولدهُ اليوم بها. » اه

ثم يذكر البلاذري سائر المدن التي افتتحها خالد حتى يأتي الى ذكر تدمر. وهو في كل ذلك يتبع الطريق القديمة التي سار فيها من تقدّمهُ بدون ادنى تغيير

وقال ياقوت : « قال ابن الكلبي : سميت صندوداء باسم امرأة (كذا) وهي صندوداء ابنة لَخم بن عدي بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد. (؟!!!) قال : سار خالد بن الوليد من العراق يريد الشام فأتى صندوداء وبها قومٌ من كندة واياد والعجم... الخ »

هذا الذي وقفنا عليهِ في هذا الصدد. والقول ان تفساح هي دير الزور مشهور

---

١) قولنا ان صندوديا او صدودياء من مادة « ص د ا » لا ينفي القول انها من مادة « ص د د » ايضاً فقد تقرَّر اليوم ان اصل الناقص مضاعف. اما النون فتحة زائدة. راجع تاج العروس مادة صدد. وممَّا يؤيد ان صندوداء هي من صدد ايضاً والمعنى في الاصل واحد من جهة وضع اللفظة لهذه المدينة. ان الصدّ في اللغة ناحية الوادي وفي فريتاك « مجرى الوادي » (Alvei vallisque tractus). والصد ايضاً شعب صغير يسيل فيهِ الماء قالهُ الضبيّ ونقلهُ التاج. ومنهُ : الصديد : ماء الجرح الرقيق. والصديد الحميم اذا أُغلي حتى خثر وصدَّاء. كدَّاء وصَدَّاء كحمراء اسم بئر او ركية عذبة الماء. اه عن التاج. والخلاصة ان المادة تؤيد صحة الاشتقاق لهذه اللفظة ولاطلاقها على المدينة المذكورة لا في هذا التركيب من الارتباط بمعنى الماء الرقيق او القليل رقيقاً كان او غليظاً

عند المحققين من المفسرين وغيرهم فلستُ انا اول قائل بهذا القول . راجع معجم بوئيه التاريخي مادة تفساح Bouillet - *Dict. d'His. et de Géog.* art. *Thapsacus.*

تفساح ودير الزور

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقيّ

انَّ المقالة السابقة لمكاتبنا البغداديّ الفاضل حضرة الاب انستاس الكرمليّ تسند رأيًا شاع مدَّةً في عالم العلم فذهب البعض إلى ان مدينة دير الزور الحاليَّة هي إحدى الحواضر التي تكرَّر اسمها في الآثار القديمة اعني تفساح . وغاية ما افادنا الكتبة القدماء عن موقع تفساح انها على ضفة الفرات الغربيَّة وانَّها كانت داخلة في حيز سوريَّة ليست بعيدًا من حلب والمنبج والبيرة (برجيك) وانَّ موقعها بالنسبة الى الفرات حيث تبلغ بلاد ما بين النهرين معظم اتساعها وان القادمين الى بلاد الشام كانوا يقطعون النهر عندها . وكلّ هذه الدلائل لا توافق تمامًا موقع دير الزور الحاليَّة . على إنَّ قومًا من الكتبة ارتأوا بوحدة دير الزور وتفساح . وكان الذي حدا بهؤلاء إلى هذا القول فقرة لبطليموس الكلوذي ظنُّوها توافق موقع دير الزور اكثر من سواها . فبقي العلماء حيارى مترددين في آرائهم قبل عهدنا بربع جيل . فمنهم كالعلَّامة ليم سميث (Smith: *Dict.* greek. and rom. Geography. *s. v.* Thapsacus) جعارا دير الزور في موقع تفساح وقد روي غيرهم كپولي (Pauly: *Realencyclopedie. s. v.*) هذا الرأي دون ان يسلموا به وكانوا يفضلون وضع تفساح في موضع أعلى حيث يعرّج الفرات ملتويًا في سيره (فتلك كانت حالة العلماء في آرائهم قبل خمس وعشرين سنة واكثر) وفي تلك الاثناء اثبت الكاتب الفرنسوي بوليه (Bouillet) في معجمه الجغرافيّ احد هذه الآراء دون ان يمعن النظر في صحَّته فزعم انَّ دير الزور هي تفساح

لكنَّ العلماء الأثبات قد عادوا إلى هذا البحث وتروَّوا في اقوال قدماء الكتَّاب واخذوا يتفقَّدون آثار وادي الفرات غربي دير الزور على مسافة بعيدة عنها فقرَّ رأيهم بعد طول النظر انَّ تفساح على معرّج الفرات جنوبيّ بالس ومسكنة حيث يكفّ النهر

عن السير الجنوبي فيميل إلى الجنوب الشرقي. وهناك قرية تدعى دبسه وقريباً منها اخربة واسعة فوجدوا إنّ اسم القرية وآثارها تلائم تفساح وتصاقبها بالتمام. وهذا الاكتشاف قد توفّق اليه في وقت واحد سائحان عالمان وهما الانكليزي بترس .L. B) (Peters والالماني ب. مورتس (١ ولو امكن العلماء ان يجروا هناك حفريّات نظاميّة لوجدوا من الآثار ما يفوق الآمال

ومذ ذاك الحين قد حصل الاتفاق التامّ بين العلماء في موقع تفساح القديمة ولا تكاد ترى كتابًا علميًّا يقول بقول يوليه. وكذلك الخرائط والاطلسات فانّها تجعل كلّها تفساح قريباً من دبسه. وها نحن نذكر بعضها منها مجموع خرائط الجغرافيّة المقدّسة للسيّد غراماتيكا (٢ (اطلب المشرق ٨: ٥٢٦) واطلس الكتاب المقدّس للعلّامة ريس (٣ (المشرق ٩: ٨٦٣) والجغرافيّ هـ كيبرت (٤ في اطلسه القديم وقد نقل عنهُ ابنهُ ر. كيبرت في خارطته الاخيرة لسوريّة وهي افضل ما وُضع في ذلك الى اليوم. أمّا التآليف التي دوّنت هذا الرأي الصحيح فمنها التاريخ القديم لأمم الشرق لسپرو (٥ وكذلك يوافقهُ مسپرو الكتاب المقدّس ومعجم هستنغس (٦ والعلّامة شين في دائرة العلوم الكتابيّة (٧ وفيها تجد مقالة موسّعة ذُكرت فيها آراء الكتبة والحجج التي ترجّح دبسة على دير الزور ولهؤلاء العلماء من الفضل وسعة العلم ما يغنينا عن الاطالة في اثبات رأيهم ومن أراد الاطّلاع على ادلّتهم فعليه بمصنّفاتهم

---

١) اطلب كتابهُ B. Moritz: *Zur antiken Topographie der Palmyrene*, p. 31

٢) هذا اسمهُ بالايطاليّة M^sr Grammatica: *Testo atlante di Geographia sacra.*

٣) في اللاتينيّة De Riess: *Atlas Scripturæ sacræ.*

٤) في اللاتينية H. Kiepert: *Atlas antiquus.*

٥) بالفرنسويّة Maspéro: *Histoire ancienne des peuples de l'Orient.*

٦) بالانكليزية Hastings: *Dict. of the Bible s. v.* Tipsah.

٧) Cheyne: *Encyclopaedia Biblica.*

نشرة انتقادية

لتآليف جديدة في التاريخ الكنسي

بقلم بعض اساتذة المكتب الشرقي في كلية القديس يوسف

تسير العلوم التاريخية في عهدنا سيرًا حثيثًا حتى لا يكاد يضم اطرافها عقل الادباء ولا يستثنى التاريخ الكنسي من هذا الحكم فان قومًا من ارباب البحث ينشرون كل يوم تآليف واسعة في اخبار الكنيسة إما عمومًا و إما خصوصًا فتارة يشاون بدروسهم كل احوال النصرانية منذ نشأتها إلى يومنا وتارة يدرسون تاريخ الكنيسة في بلد معلوم او يميطون القناع عن تاريخ احد رجال الكنيسة او يتحفون في درس وقيعة منفردة من الوقائع الشهيرة. وها نحن نذكر ما وردنا من التآليف في هذا الباب كما فعلنا في المصنفات الكتابية (٣٢٣)

*

١ نفتتح الكلام بذكر تاريخ الكنيسة للسيد بروك اسقف ماينس من اعمال المانية (١ وهذا الكتاب قد اصاب في المانية شهرة عظيمة حتى بلغ في حياة مؤلفه ثماني طبعات مختلفة ونُقل إلى لغات شتى كالفرنسوية والانكليزية والايطالية وصار في المدارس الاكليريكية كدستور للتعليم المدرسي. وقد تولى الدكتور ج شميد النائب الاسقفي في ابرشية ماينس بعد وفاة المؤلف مراجعة الكتاب وتحسينهُ فضلًا عن تطبيقه على الاكتشافات التاريخية المستحدثة وطبعهُ طبعتهُ التاسعة التي أُرسلت إلى ادارة المشرق. وهذا التاريخ يُقسم إلى ثلاثة اقسام: من ظهور النصرانية الى المجمع السادس (سنة ٦٨٠ م) ثم الى الاصلاح الموهوم في القرن السادس عشر ثم الى حوادث زماننا ولكل قسم فصول متعددة كانتشار النصرانية وحياتها الباطنية وترقي تعاليمها ومعاملاتها مع السلطة المدنية إلى غير ذلك من الاقسام الثانوية. وما يقال بالاجمال عن

(١ وهذا عنوانهُ:

Heinrich Brueck (Dr): LEHRBUCH DER KIRCHENGESCHICHTE. 9te teilweise umgearbeitete Auflage. heraus. von Dr Jakob Schmidt, *Münster i.* W., 1906, in-8.

هذا التأليف انهُ كثير الوضوح قريب الاسلوب واسع المادَّة حسن الفهارس ولهذا قد توفَّر عليهِ اقبال المدارس. على اننا نجد ايضاً فيهِ بعض النقائص التي نرغب في اصلاحها في طبعة جديدة فمن ذلك انَّ المؤلف لم يُحسن في جعلهِ المجمع السادس كآخر القسم الاوَّل. فان هذا التاريخ ليس فيهِ من الخطر وعظم الشأن ما يوجب الوقوف عندهُ. فانَّ أُمورًا أُخرى اعمّ نفعاً وأعلى مقاماً أحقّ بذلك. ومما يزيد هذا النقص خرقاً ان للمؤلف يحتاج في القسم الثاني إلى ان يعود إلى عدَّة حوادث كان الاولى بها ان تُقدَّم. ويظهر مثل هذا التشويش في اماكن غيرها فيؤخر الكاتب ما كان ينبغي تقديمهُ او يقدّم ما حقُّهُ ان يؤخر مثال ذلك وصف رسالات الآباء اليسوعيين والكبوشيين قبل ذكر انشاء الرهبانيَّتين. وكذلك نأخذ على المؤلف تقصيرهُ في بعض الحوادث المهمَّة او سكوتهُ عنها. فانهُ مثلاً لم يكد يذكر شيئاً من اعمال القديس لويس ملك فرنسا اللهمَّ إلَّا سنة وفاتهِ. وقد فاتهُ ان يشير الى تأليف الاب لاپورتر اليسوعي عن البابا يوحنَّا الثامن فان ما كتبهُ هذا الكاتب عين الصواب اخذهُ عن مصادر موثوق بها فلا يجوز ضرب الصفح عنهُ. وقد سها ايضاً عن تدوين بعض التآليف الفرنسويَّة لتعريف الدولة الكرلوڤنجيَّة. هذا إلى اغلاط أُخرى طفيفة لا تخفى على المطالع اللبيب

٢ تنني أطيب الثناء على الطبعة السادسة التي وردتنا من جداول التاريخ الكنسيّ للدكتور ڤينرتنر (١ فانها على سياق جميل وترتيب دقيق تشمل تاريخ الكنيسة من اوَّلها الى سنة ١٩٠٥. وليست هذه الجداول مجموع أعلام واعداد فقط بل تحتوي ايضاً نصوصاً عديدة قد اختصر فيها المؤلف على طريقة سهلة اعمال الكنيسة واحوالها في كل طور من اطوارها. ومن فوائد هذا التأليف ان الدارس يمكنهُ ان يدرك بنظر واحد ما أجرتهُ النصرانيَّة في امكنة شتَّى من المآثر الجليلة والاعمال الاثيرة. ومما يزيد هذا الكتاب فضلاً انَّ صاحبهُ اضاف إليهِ شواهد من كبار الرجال تؤيد اقوالهُ في كلّ باب وتجمع في ألفاظ وجيزة معاني كثيرة. وكذلك قد اثبت في ذيل كل صفحة اسماء التآليف التي استند اليها لتيسّر مراجعتها اذا احتاج إلى تفاصيل موسَّعة. ومن محاسن

(1 Weingartners Zeittafeln und Uberblicke zur Kirchengeschichte. 6te Aufl. vollstandig umgearbeitet und bis auf die Gegenwart fortgeführt von Dr Carl Franklin Arnold, 1905-1906, *Leipzig, Hinrichs,* in-8, pp. 257.

هذا الكتاب ايضاً جداول لبعض الأُسر الدولية التي لها علاقة مع الكنيسة ثم نظرٌ تاريخي في الفنون الجميلة الدينيَّة والغناء الكنسي. وخلاصة القول ان هذا الكتاب من أجود الكتب التي يُستعان بها لدرس تاريخ الكنيسة. ولعلَّهُ بالغ في بعض الفصول بتدوين تآليف اعداء الدين فانَّ منها ما لا يستحقُّ ذكرًا لتطرُّف اصحابها وتعصُّبهم على الكنيسة الرومانيَّة

٣ ومن اشرف ما وُضع في هذه السنين الاخيرة من التواريخ الدينيَّة كتاب صنَّفهُ احد مشاهير عصرنا وهو الاب غريزار اليسوعي عن رومية والباباوات في القرون المتوسطة (١) ضمَّنهُ من المعلومات والاوصاف ما لم يتصل اليه احد قبلهُ. والاب المذكور قد اطَّلع على دفائن الآثار والسجلَّات الخفيَّة التي كانت تُصان سابقاً في خزائن الواتيكان السريَّة لا يكاد يعرفها احد وهي اضابير من الرقّ كانوا اودعوها منذ الف سنة بفيف اخبار الاحبار الرومانيين واعمالهم فالاب غريزار اطَّلع على كلّ هذه المكنونات واستخرج منها لبابها في تاريخ كبير قسمهُ الى اربعة كتب في مجلَّدين مباشرًا باخبار المدينة المخلَّدة منذ اوائل القرن الخامس الى السابع. وهذا التاريخ لا يحتوي فقط اخبار رومية واعمال الاحبار الرومانيين الظاهرة في تلك المدَّة بل يشتمل ايضاً على كلّ ما يمسّ حياة الكنيسة الباطنة من دين وعبادة ومذهب ومشاريع خيريَّة وفنون جميلة وترقّي الآداب بحيث يتحقَّق القارئ ما كان للبابويَّة من المقام العظيم والنفوذ الكبير في كلّ الاعمال التي جرت في انحاء العالم بذلك العهد. وهذا التأليف العجيب مع فوائده الجليلة كان حتَّى الآن باقيًا على اصله الالماني الى ان حرَّكت الحميَّة احد ذوي الهمَّة الموسيو لودوس فنقلهُ آخرًا الى الفرنسويَّة. وقد راجع المؤلف هذه الترجمة واضاف اليها اصلاحات جمَّة تتمَّة للافادة. كما ان المترجم علَّق على الكتاب بعض الملحوظات مع بيان الكتب الفرنسويَّة التي بحثت عن هذه المواد. وقد ارادت ابنة المترجم ان تتولَّى عمل الفهارس تسهيلاً لطلب المواضيع فتخدم بذلك العموم جازاها الله واباها خيرًا

٤ وممَّن خصَّ قلمهُ بتاريخ بعض الاحبار الرومانيين الموسيو ديلاندر الذي

---

(١) Hartmann Grisar s. j. HISTOIRE DE ROME ET DES PAPES AU MOYEN-AGE. Trad. de l'allumand par Eug.-Gab. Ledos. T. I. pp. 466; T. II, pp. 456, *Lille, Desclée* et C^ie^ 1906.

سطَّر تاريخ اينوقنت (او زكيا) البرابع (١ ونعم ما فعل فانك قلَّما تجد بين كبار الاحبار رجلًا حدثت في عهدهِ الامور الجليلة والاعمال الشريفة كما حدث في أيَّامهِ. منها ذهاب البابا الى جنوة ثمَّ تنزيل فردريك في مجمع ليون ثمَّ حرب القديس لويس الاوَّل في الشرق. وقد جرى المؤلف في كلّ ذلك على طريقة العلماء مستندًا في اقوالهِ الى اثبت المصادر واصدق الكتبة فيعرض الحوادث على محكّ الانتقاد ولا يحكم في أمر إلَّا بعد تأييده بالحجج الراهنة مبتعدًا عن كلّ غرض من شأنهِ ان يسلب الحقيقة شيئًا من حرمتها وأجلُّ ما في هذا الكتاب تاريخ الخصام الذي وقع بين البابا والقيصر قد اوضحهُ الكاتب بعلم وسداد نظر ونزاهة فنحرّض محبيّ التاريخ على تسريح النظر في رياضهِ

٥ ومن كبار الاحبار في القرن السادس عشر سكتس الخامس (١٥٨٥—١٥٩٠) الذي لم يجلس على كرسي بطرس الرسول اكثر من خمس سنوات فترك من الآثار العظيمة ما لا يزال يشهد لهُ حتى اليوم بالمدارك السامية والهمَّة القعساء. فهو الذي زيَّن رومية العظمى بالابنية الشاهقة والمآثر الشائقة ثم أصلح الدوائر التي تساعد الحبر الاعظم في رعاية العالم الكاثوليكي وانشأ جمعيَّات أخرى لتدبير الكنيسة وكان سياسيًّا محنَّكًا فاحسن التصرُّف مع الدول وعزَّز لديها السلطة الدينيَّة. ومن أعمالهِ توجيه نظره للخزينة الرسولية فعمَّرها بحكمتهِ وتدابيره الاقتصادية. هذه المشروعات وغيرها ايضًا قد قام بها سكستوس الخامس كما بيَّنهُ كاتب حديث من اصحاب التدقيق والتنقير يدعى پول غراسياني (٢ وقد زيَّف هذا المؤلف كلَّ الاكاذيب التي كان دسَّها غريغوريو ليتي (G. Leti) في ترجمة سكستوس الخامس وعنهُ اخذ بعض اعداء الكنيسة اقاصيصهُ الغريَّة فمن يطلب التاريخ الصحيح عليهِ بمراجعة هذا الكتاب الجديد الذي يؤيد ما كان اكتشفهُ قبلهُ كتبة ثقات كالاب تمستي والمؤرخ البروتستاني رنك (Ranke) والبارون دي هوبنر (de Hübner) وكلُّهم يقدّرون سكستوس قدرهُ ويقيمون الحجَّة على افتراء ليتي ومن نقل عنهُ

P. Deslandres. INNOCENT IV ET LA CHUTE DES HOHENSTAUFEN (١ *Paris, Bloud,* in-12 (Science et Religion, n° 429.)

Paul Graziani : SIXTE-QUINT ET LA RÉORGANISATION MODERNE (٢ DU SAINT-SIÈGE. *Paris, Bloud* 1906, in-12 (Science et Religion, n° 430.)

٦ اما الذين اتخذوا لدروسهم أعمال احد الآباء القدماء كالاستاذ غبريالسون (١ فانهُ قد اعمل النظر في تآليف احد كتبة الكنيسة الاسكندريَّة. اقليمس الاسكندري استاذ اوريجانوس المعلّم. وكلّ يعلم ان لذلك الكاتب الشهير مصنَّفات عديدة يجد فيها ارباب التفتيش مادّة غزيرة لابحاثهم منها جدلية كمثل كتابهِ الذي وجّههُ الى عَبَدة الاصنام (Προτρεπτικός) ومنها أدبيَّة ككتابهِ المُعَنوَن بالاستاذ (Παιδαγωγός) ومنها فلسفيَّة كتأليفهِ المسمَّى بالوشاء (Στρώματα) وكتب أُخرى غيرها في فنون شتى اكسبت صاحبها فخرًا عظيمًا. وكثير من الكتبة كانوا قد تعمَّقوا في درس هذه الآثار لاحراز فوائدها الدينيَّة والفلسفيَّة. وقلَّما اُتسعوا في البحث عن لغة صاحبها واصطلاحاتهِ ليقابلوها مع لغة زمانهِ واصطلاحات معاصريه. وفي هذه الابحاث ما يكشف الستار عن مشاكل متعدّدة لا يدركها مَنْ يعرضها على اصطلاحات شاعت في ازمنة أُخرى. وهذا ما توخَّاهُ صاحب هذا الكتاب فانهُ اراد ان يدرس ألفاظ ومعاني اقليمس الاسكندري ويكشف معنَاها ويبيّن حقيقتها. ثم قصد بتأليفهِ ما هو انفع من ذلك اعني الموارد التي استقى منها الاسكندريّ ونقل عنها. ومن ينظر في أعمال ذلك المعلّم البارع يجد فيهِ شواهد منقولة عن نيّف و٣٠٠ كاتب. وناهيك بذلك دليلًا على سعة علمهِ وكثرة مطالعاتهِ. وقد سعى صاحب هذا الكتاب أن يميز بين التآليف التي عرفها اقليمس بنفسهِ وراجعها في اصلها والتآليف التي وجد فيها تلك النصوص. وبين هؤلاء الكتبة قوم من مشاهير الوثنيين والنصارى الذين لا نكاد نعرف غير اسمائهم وفُقدت اكثر مؤلفاتهم كبوليمون وابولودورس واسكندر وديديموس وديون المعروف بفم الذهب وهرمييوس البيروتيّ وكل هؤلاء سبقوا القرن الثاني للمسيح وكذلك استشهد بافلاطون وكاسيان اللادري وايزيدور وطاطيانوس وبغيرهم كثيرين. والمؤلف يفرز بين هؤلاء الكتبة ويشير الى الذين اطّلع الاسكندري على تآليفهم. وعلى رأيهِ انَّ اقليمس لم يطلع على كتبهم وانَّما نقل نصوصهم كما وجدها مجموعة في كتاب واسع يحوي اصناف العلوم وكان على شبه دائرة معارف ذلك الوقت. ويظنّ الكاتب انَّ هذا الكتاب ليس هو الّا كتاب الفلاسفة

(١ Gabrielsson Johannes: UEBER DIE QUELLEN DES CLEMENS ALEXANDRINUS, I Th. *Upsala, Akadem. Buchhand., Leipzig, Harrassowitz*, 1906, in-8 XI-258.

القالبين يُدعى فاوريوس كان وضع تاريخًا وسمهُ بالتاريخ العمومي (παντοδαπὴ ἱστορία) ضمّنهُ اخبار كل الامم مع وصف احوالها في دينها ودنياها . وهذا التاريخ قد اخذتهُ يد الضياع لم يبقَ منهُ الّا مقاطيع متفرّقة وفقرات شاردة تبلغ الستين عدا ولو ثبت قول الكاتب بان اقليميس استعار من ذلك المجموع عددًا عديدًا من نصوصهِ القديمة لَتلنا من هذا الاكتشاف فائدة عظيمة واعتبارًا جديدًا لاعمال اقليميس الاسكندري الذي بتدوينهِ لتلك الشذرات نجّاها من الضياع وزادنا معرفةً باحد مشاهير الكتبة الاقدمين . فنشكر همة صاحب هذا الكتاب ونتمنّى ان يواصل ابحاثه في هذه الامور المجهولة التي تحيي ذكر الماضين وتنشر فضلهم على رؤوس الاشهاد

٧ وكما درس الاستاذ غبريالسون اعمال اقليميس كذلك انقطع حضرة الاب پرا اليسوعي لدرس اعمال اوريجانوس تلميذ اقليميس وكان اوريجانوس نابغةً اصاب في القرن الثالث للمسيح من الصيت والشهرة ما لا يزال صداه يتردّد جيلًا بعد جيل . والحقُّ يقال انّك في تاريخ البشريّة لا تكاد تجد الّا بعض الافراد الذين بلغوا مقام ذلك العلّامة الفريد بسمو مداركهم وسعة علومهم ووفرة مآثرهم . فانَّ اوريجانوس قد برَّز في كل فنون الكتابة حتى انَّ القديس ايرونيموس الشهير قد دعاهُ باضوإ نور الكنيسة بعد الرسل . وكفاك دليلاً على ذلك ان التآليف المنسوبة الى اوريجانوس تبلغ ستة آلاف وهو لعمري عدد يتحيَّر العقل من عُشرهِ فكيف بهِ تمامًا . وغاية حضرة الاب پرا في هذا ليست هي ان يعدّد اعمال اوريجانوس او يلخّصها او يدرسها درسًا وافيًا وافيًا اراد فقط ان يحصر نظرهُ في اوريجانوس كلاهوتيّ ومفسّر للكتب المنزلة فجمع بسياقٍ ونظام كلّ تعاليم ذلك الرجل العظيم وبيَّن ما فيها من الغثّ والسمين والسقيم والقويم ثم بحث عن اسبابها وعلاقاتها ومفاعيلها وما نجم عنها من التأثير في معاصريهِ والذين اتوا من بعدهِ فكان لهم كامام ينوا على اساسهِ واستضاءوا بنورهِ وربَّما ضلّوا بضلالهِ . وكلُّ ذلك يدعمهُ حضرة الاب پرا بالبراهين اللامعة والحجج القاطعة ناقلًا من كتب اوريجانوس الفقرات الكاشفة عن مكنونات صدرهِ وخفايا قلبهِ بحيث يستطيع القارئ ان يبرز الحكم بنفسهِ في تعاليم اوريجانوس الصادقة ومذاهبهِ الباطلة . فنثني الثناء الطيّب على

F. Prat, s. j. ORIGÈNE. Le théologien et l'exégète, *Paris.*, (1 *Illoud*, gr. in-16.

هذا التأليف الذي يشهد لصاحبه باصالة الرأي والبحث العميق ورجوح الفكر كما اعتاده في تآليفه السابقة

٨ ومن الكتب التي وُضعت في مسألة خاصة من اخبار الكنيسة كتاب صنّفهُ الموسيو كافاليرا في امر انشقاق انطاكية (١ وهو نزاع حدث في كرسيّ انطاكية بين رجلين فاضلين ملاطيوس وپولينوس. وقد صار لهذا النزاع رنّة سيئة في كل الجهات حتى كادت بسببهِ الكنيسة الكاثوليكيّة جمعاء تفقد سلامها ووحدتها. وفي ذلك دليل على ما كان لكرسيّ انطاكية من المقام الرفيع والرتبة الممتازة. اما تفاصيل هذا الخصام فطويلة كثيرة الارتباك واصلها ان القديس اوستاتيوس نُفي من كرسيهِ في سنة ٣٣٠ فاجتمع انصار اريوس واقاموا لهُ خلفاً من حزبهم لم يرضَ بهِ الكاثوليك لسوء معتقدهِ ثمّ خلف هذا الاريوسيّ اساقفة من بدعتهِ وكان سابعهم ملاطيوس المذكور. وكان هذا رجلاً صالحاً يشهد لقداستهِ معظم اهل عصرهِ لكنّ انتخابهُ بعد اساقفة اريوسيين ونفيهُ بحكم الملك قنسطنس دفعا لوسيفار كالباري الى ان يُختار لانطاكية اسقفاً آخر وهو پولينوس الكاثوليكي فلمّا عاد ملاطيوس المذكور من النفي بعد موت قنسطنس حصل بينهُ وبين پولينوس خصام عظيم انقسمت فيهِ الكنيسة قسمين يدّعي كلّ منهما بقانونيّة صاحبهِ ودام هذا الانشقاق زمناً طويلاً حتّى بعد وفاة ملاطيوس وپولينوس لانّ كلّ حزب كان يستّف اسقفاً يطيعهُ وينبذ حكم الآخر. وكان الشرقيّون غالباً مع ملاطيوس واساقفة والغرب مع پولينوس. وفي الحزبين قدّيسون وملافنة عظماء كيرخنّا فم الذهب وغريغوريوس اللاهوتي وباسيليوس من جهة وكاتناسيوس وايرونيموس واحبار رومية من جهة أخرى وقلّما تجد كاتباً من ذلك العهد الّا يشيع في هذا الامر ويرجّح دعوى ملاطيوس او پولينوس. ومع كثرة ما ورد في ذلك لا تجد كتاباً مستوفياً يوضح تاريخ ذلك الانقسام فاحبّ الموسيو كافاليرا ان يسدّ هذا الخلل فصنّف كتابهُ واودعهُ كلّ المعلومات التي امكنهُ جمعها من تواريخ القدماء فمحص ذلك الواقع من كلّ وجوههِ وعارض الشواهد بعضها وقاسها على قوانين المجامع واصول الحقّ القانوني ثم زكّى الكرسي الرسولي والغربيين من تهم عديدة اتّهمهم بها اعداء الكنيسة وتناقلوها زوراً. وما يزيد هذا

(١ Ferdinand Cavallera: LE SCHISME D'ANTIOCHE (IVe-Ve Siècle), *Paris*, A. *Picard et fils*, 1906, in-8, XIX-342.

الكتاب شأنًا انَّ صاحبهُ يعرض بتزاهة تامة كلّ اعتراضات الخصوم ويفنّدها باصدق البيّنات لاسيما أقوال الاقدمين الذين لم يفُتْهُ شيء من مصنَّفاتهم في هذا الباب . ومما نأخذهُ عليه مدافعتهُ عن ارثوذكسيَّة ملاطيوس في كلّ أطوار حياتهِ اذ هو ثابت انَّ هذا الاسقف كان في أوَّل انتخابهِ مائلًا الى شيعة آريوس ولم يقبل كلّ تعاليم نيقية في مساواة الابن للآب في الجوهر لكنهُ ارعوى بعد ذلك وقال بقول الكاثوليك . وكذلك لا يصحّ قولهُ في انطاكية (ص ٣٤٤) بانها كانت اوَّل كراسي الشرق المسيحيّ ومن المعلوم ان السبقيَّة في ذلك كانت للاسكندريَّة . ومما لم نستحسنهُ في هذا التأليف كتابة الاسماء الاعجميَّة فانَّ المؤلف لم يمشِ على خطَّة واحدة فتراهُ يكتب بعض الاعلام كما هي في اصلها اللاتيني واليونانيّ ويكتب البعض الآخر على صورة مستحدثة والاولى في ذلك تصوير هذه الاسماء على صورتها المألوفة بين العلماء — وكذلك سهّا عن مراجعة بعض تآليف حديثة كان يمكنهُ ان يستفيد منها مثل كتاب پولار في القديسين الاقدمين وكرسيّ رومية (M. Pullar: *The Primitive Saints and the See of Rome*) وكتاب كرومباخر في الآداب البوزنطيَّة (Krumbacher: *Byzantinische Litteratur*) والطبعة الجديدة من تاريخ هرغنروثر (Hergenröther) وكتاب كاتنبوش في تاريخ الكنيسة الشرقية (Kattenbusch: *Confessionskunde I Die orthodoxe anatolische Kirche*) وهذه الكتب قد خصَّت قسمًا كبيرًا من صفحاتها لمسألة ملاطيوس وبوليتوس . وعلى كلّ حال قد اصبح اليوم تأليف الموسيو كاتاليرا من أجمع وأضبط ما كُتب في هذا الشأن

٩ نختم هذا النظر في منشورات التاريخ الكنائسيّ بذكر الطبعة الرابعة التي نشرها المونسنيور باتيفول في تاريخ الادب النصرانيَّة اليونانيَّة (١ . وهذا الكتاب كدليل لدارسي التآليف النصرانيَّة منذ القرن الاوَّل الى القرن السادس . وهي المدَّة التي فيها تعدَّدت التآليف المسيحيَّة في اليونانيَّة حتى بلغت اوج عزّها واشتهر في تلك الاثناء رجال لا تزال تآليفهم كصايح لامعة يُستضاء بها وكأعلام خافقة ترنو اليها الابصار .

(١ **Pierre Batiffol:** LA LITTÉRATURE GRECQUE, 4e éd. *Paris, Lecoffre* (Bibl. de l'enseignement de l'histoire ecclésiastique) 1901. pp. XVI-351.

فمن يا ترى يجهل كتبة كيوستينوس وايريناوس واقليمس واوسابيوس ويوحنا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وكيرلُّس ومئين غيرهم شرَّفوا الكنيسة بل العالم كلَّهُ بمصنَّفاتهم. فتاريخ هؤلاء الكتبة واعمالهم لمَّا سعى فيهِ كثيرون. منهم في عهدنا برْدنهوَر (Bardenhewer) وشميت (Schmitt) وروشن (Rauschen) وكانت طريقتهم في ذلك أنْ يتتبَّعوا الاجيال جيلًا فجيلًا فيذكروا سياق المؤلفين مع مختصر أعمالهم وجدول تآليفهم ملحقًا ببعض الملحوظات. اما المونسنيور باتيفول فقد آثر طريقة أخرى أشهى وألذّ للقرَّاء. نالت الحظوى لدى العموم في تآليفهِ السابقة فبدلًا من ان يجعل كتابهُ كقائمة كتابيَّة ناشفة قسم كتابه الى فصول عموميَّة جمع فيها ما كتبهُ الآباء اليونان في الموضوع الواحد وقد راعى تاريخ الازمنة بتقسيم تأليفهِ الى ثلاثة اطوار اي الآباء الاولين الى هيوليتوس ثمَّ من هيوليتوس الى لوسيان الانطاكي وآخرًا من لوسيان الى عهد الملك يوستنيان. وما يقال بالاجمال عن هذا التأليف انهُ يجمع بين التاريخ والانتقاد فضلًا عن انشائه الرائق وتعبيرهِ الانيق وكلّ ذلك ممَّا زاده رواجًا فتكرَّرت طبعاتهُ. ونحن مع ثنائنا على صاحبهِ والاقرار بفضلهِ نورد لهُ بعض ملحوظاتنا فعساهُ يُعيرها بالاً لتحسين عملهِ. فمن ذلك اولًا انهُ في فصلهِ الاوَّل « عن الرسائل » لم يفرز بين الرسائل التي كتبها الرسل والرسائل التي لغيرهم. فكتب عنها جميعًا دون الاشارة الى الفرق العظيم الذي بين الصنفين. لأنَّ الاولى داخلة في حيّز الوحي دون الثانية — وقد اساء كذلك اذ خلط بين كتاب رؤيا يوحنَّا وتآليف أخرى غير قانونيَّة منسوبة زورًا للرسل. وقد وجدنا في هذا الكتاب عدَّة تعابير تُوقع القرَّاء في الريب والشكّ وربَّما ذكر اقوال المخالفين لتعاليم الكنيسة دون ان يزيّفها وكأنهُ يصادق عليها مثال ذلك قولهُ في انجيل مار يوحنَّا (ص ١٣) وفي رسالة القديس بولس الى العبرانيين. وفي كلّ مطاوي هذا الكتاب ترى المنسنيور باتيفول يعظّم بعض نكرة الوحي من الالمان حتى يكاد يتأثَّر اعتقابهم وقد أقرَّ في مقدمتهِ (ص ١٣) انهُ نقل قسمًا كبيرًا من البرهاني هرنك (Harnack) وقد دعاهُ في بعض كتبهِ بلفظة غريبة فقال عنهُ « انهُ دليل صادق للنفوس ». هذا ولا ننكر نحن ايضًا ان لهرنك مزايا محمودة وفضلًا كبيرًا في كتابهِ المسمَّى تاريخ الآداب النصرانيَّة القديمة (Geschichte der altchristlichen) لكنَّ روح هذا الكتاب مخالف لمذهب الكاثوليك فلا يجوز لكاتب كاثوليكي ان يمدحهُ دون استثناء. وترى

المونسنيور باتيفول على خلاف الامر يضرب صفحاً عن كتبة كاثوليكيين اجمع الكل حتى البروتستانت على حُسن اعمالهم وربَّما ذكرهم باستخفاف كبدنهور وفنك (Funk) واهرارد (Ehrhard) وفي ذلك ما يوجب العجب والاندهال من قبل كاهن كاثوليكي فعلى القرَّاء إذن ان يطالعوا هذا الكتاب بتحفُّظ. ومما استغربناهُ فيه انَّهُ ختم تاريخ الآداب القديمة على عهد يستنيان دون داعٍ كافٍ وكان الاولى بهِ ان يواصلهُ الى عهد القديس يوحنَّا الدمشقي ولهُ من عظم الشأن في الكنيسة اليونانية ما لا يجهلهُ احد

الابرشيَّة الارمنيَّة في ماردين

لسيادة المونسنيور الكسندريان رئيس مدرسة بزمَّار

ماردين سنجق من سناجق ولاية ديار بكر موقعهُ جنوبيّ شرقيّ الولاية تحدُّهُ شمالاً ولاية بتليس وشرقاً ولاية وان وجنوباً ولاية الموصل ومتصرفية دير الزور. وهو يحتوي خمسة اقضية ماردين ثمَّ نصيبين وكانت سابقاً من أُمهات المدن وهي اليوم بلدة صغيرة ثمَّ الجزيرة ثمَّ مدياث ثمَّ اوينة. واخصُّ هذه الاقضية ماردين وهي مركز قضاء يقيم فيها المتصرّف. وكانت هذه الجهة تدعى سابقاً ميقدونيا (Mygdonia) باسم نهر ميقدونيوس وهو المعروف بنهر هرماس. وحدود ابرشيتها للارمن الكاثوليك تتجاوز تخوم الناحية كما ستري

امَّا سكَّان سنجق ماردين فيبلغ عددهم نحو ٢٠٠,٠٠٠ منهم المسلمون نحو ٤٠,٠٠٠ ثمَّ الاكراد نحو ٢٠,٠٠٠ وهم يقسمون الى عشائر متعدّدة يسكنون إمَّا في مدينة ماردين وهم اربع عشائر الشكيريون والداشيُّون والمندلكانيُّون والمحلَّميُّون واما في خارج البلد فترى منهم في الشمال والشرق عشيرتي الاوريان والدارفجيَّة. وبعضهم يسكن جبل ماضي وهم علوج جابرة وغيرهم يحلُّون في ديريك وهم من عشائر المحمودية والمياسية والمصطفية والرومية. ويغلب الملّيون منهم على جنوبيّ غربيّ ماردين الى الرها ومثلهم الكيكيون خلجان والكيكيون چريكيان والداقوريون يمتدُّون في جنوبي غربيّ ماردين وفي جنوبها. والمرونيَّة منهم يسكنون بجوار نصيبين. امَّا

الداشقوريُون والحرفيارُيون فسكناهم في جهات مديات. ولغة هؤلاء الاكراد الكرديَّة من فروع الفارسيَّة

وفي نواحي ماردين ايضاً قبائل عربيَّة في جنوبها وجنوبها الغربيّ اكثرهم عرب شمَّر وهم يقسمون الى فردازي وصابة وشمالات. وفي جهات نصيبين عرب ينتسبون الى طيّ

ويضاف إلى هذه القبائل نحو ١٠,٠٠٠ من التركمان والشركس يسكنون في سنجق ماردين

أمَّا النصارى فاكثرهم السريان يُربون على ٦٠,٠٠٠ القسم الاكبر منهم يعاقبة يسكنون في ماردين والقرى المجاورة لها واغلبهم في اطراف مديات وخاصَّة جبل الطور حيث يتكلَّمون بالسريانيَّة المعروفة بالطورانيَّة. وللعاقبة في سنجق ماردين ثلاث مطرانيَّات. ولهم كرسيّ بطريركيّ على مسافة ساعة من ماردين شرقيها في دير قديم يُدعى دير الزعفران وهناك يقيم بطاركة العاقبة منذ اجيال متواصلة. امَّا السريان الكاثوليك فنحو ١٠,٠٠٠ بنيف في سنجق ماردين وكرسيُّهم البطريركيّ في ماردين نفسها وكان بطاركتهم سكنوا مدَّةً في لبنان في دير سيِّدة النجاة المعروف بالشرفة ثمَّ سكن السيِّد البطريرك الطيِّب الذكر انطون السجيري في ماردين إذ اصدر المجمع المقدَّس حكمهُ في ٢٨ آذار سنة ١٨٥٢ في تحويل الكرسيّ البطريركيّ اليها وقد تثبَّت هذا الحكم في مجمع الشرفة

ومن سكَّان سنجق ماردين الارمن وعددهم ٣٠,٠٠٠ قسم منهم غريغوريُّون يسكنون غالباً شمالي ماردين وشرقيها الشماليّ لاسيَّما ويران شهر ورأس العين وديريك وجهات نصيبين. امَّا مدينة ماردين وقرية تلّ ارمن فليس فيهما غير الكاثوليك وعددهم نحو ١٢,٠٠٠ واصلهم من اطراف سامسون استوطنوا ماردين منذ زمن طويل كما تدلُّ عليهِ كنيستهم التي يزيد عهد بنائها على الف سنة. ثمَّ اتَّحدوا بعد ذلك مع الكنيسة الرومانيَّة

وكانت ابرشية ماردين سابقاً كرسيًّا اسقفيًّا تحت حكم رئيس اساقفة آمد اي ديار بكر ثمَّ اضحت وهي لا تزال الى يومنا كرسيًّا لمطران. ويُذكر لماردين اساقفة ارمن منذ عدَّة قرون. ففي القرن السابع عشر سقَّف عليها بطريرك سيس يوحنَّا الثاني السيدَ

كالوسد (١٦٠١ — ١٦٢٠) ثمَّ سقَّف عليها البطريرك ميناس السيِّد سركيس (١٦٢٧ — ١٦٣٢) . وفي مطاوي ذلك الجيل أتى ماردين بعض الرهبان الكرمليين فنادوا بالاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة . ثمَّ جاءها من بعدهم سنة ١٦٤١ الرهبان الكبوشيُّون اشتهر بينهم الاب يوحنا من سان مَنس وهو الذي اختار شابًّا تقيًّا يُدعى ملكون طازباز كان مولدهُ سنة ١٦٥٩ فأرسلهُ الى رومية ليتلقَّى العلوم في المدرسة الاوربانيَّة فما لبث ان امتاز بين أقرانهِ ونال قصبة السباق في العلوم الكهنوتيَّة . ولمَّا عاد الى وطنهِ جعل يرشد ويعلِّم ويدعو الى طاعة الكرسيّ الرسولي وكان معاصروهُ يقصدونهُ ليأخذوا عنهُ ويقتبسوا من أنوارهِ منهم الشاب الاديب ابراهام ارزيشيان الذي رقي بعد ذلك الى مقام البطريركيَّة على الارمن الكاثوليك . ومن اعمالهِ المبرورة انهُ تملَّك كنيسة كان الارمن يدعونها باسم القديس غريغوريوس المنوِّر [illegible] ([illegible]) وجعلها على اسم القديس جرجس الشهيد ولعلَّهُ فعل لكتابة ارمنيَّة مسطَّرة باحرف سريانيَّة يقال فيها « قد شُيِّد هذا المكان بيتًا للربّ على اسم القديس كوركيس القائد سنة ٤٥٠ مسيحيَّة » وذلك أثر جليل نُقل سنة ١٨٩١ على الرقّ وهو دليل واضح على قدم عبادة القديس جرجس في انحاء الشرق

(السيِّد ملكون طازباز) لا نعلم كم بقي كرسيّ ماردين خاليًا بعد وفاة اسقفهِ الاخير سركيس . وما لا ريب فيهِ انَّ الكرسيّ الرسوليّ عيَّن ملكون طازباز لرعاية الارمن الكاثوليك في ماردين وقد تمَّ ذلك على ما نرجّحهُ في سنة ١٧٠٨ بوضع ايدي بطرس بيساك الحلبيّ الكاثوليكيّ الذي أُقيم بطريركًا على سيس من السنة ١٧٠١ الى ١٧١٢ ولدينا رسالة تشير الى ذلك وجَّهها السيِّد طازباز الى المجمع المقدَّس سنة ١٨٠٩ . ولعلَّهُ قد وقع سهو في تاريخ هذه الرسالة . وكان السيِّد طازباز آثر اقتبال الاسقفيَّة من ايدي بطريرك سيس على غيرهِ امتثالًا بسلفيهِ كالوسد وسركيس . ولمَّا عاد الى كرسيّهِ ضاعف جدَّهُ وجهدهُ في تقدُّم رعيتهِ وقد ساعدهُ الله على ردّ كل ارمن ماردين وتلّ ارمن الى حجر الكنيسة الرومانيَّة . وبعد ان اقام ستّ سنوات في ابرشيَّتهِ قضاها في كلّ الاعمال الصالحة والمشروعات الرسوليَّة دسَّ لهُ اعداؤهُ النصارى الدسائس فاذاقوهُ أنواع المحن حتى توفي مستشهدًا سنة ١٧١٦ أو ١٧١٧ وكانت وفاتهُ في دار السعادة

٢ (مرديروس ماركار طوخمانيان) وُلد في ديار بكر سنة ١٦٥٣ وسيم عليها مطرانًا سنة ١٦٨٤ يد السيد يغازار بطرك اشميازين ثمَّ اقبل الايمان الكاثوليكي سنة ١٦٨٥ بارشاد المطران ملكون طازباز ولمَّا توفي هذا السيد نقل مرديروس الى كرسي ماردين وثبته الحبر الروماني في ٢ آب سنة ١٧٢٢ ومات سنة ١٧٢٧ في ماردين ودُفن في كنيسة القديس جرجس الكاتدرائية

٣ (ملكون ماركار طوخمانيان) هو شقيق الاسقف السابق وُلد سنة ١٦٧٥ وتتلمذ في صغره لملكون طازباز. وبعد وفاة اخيه مرديروس عيَّنهُ الكرسيّ الرسولي ليخلفهُ في رتبته (١٧٣٨—١٧٣٩). وفي سجلات ماردين انَّ المذكور سيم مطرانًا في ديار بكر بوضع يد السيد يوسف بطريرك الكلدان الكاثوليك برخصة السدَّة الرسوليَّة. وفي الامر نظرٌ لانَّ الورتبيد مانوئيل المؤرخ افاد في تاريخهِ بان سيامة ملكون تمت في حلب عن يد السيد ابراهام رئيس اساقفتها الارمني بمساعدة الاسقفين يعقوب وساهاك. قال: «وبعد ان اخذ أولئك الاساقفة أعني ابراهام ويعقوب وساهاك كنيسة حلب بأيام قليلة سفَّروا على ماسيود (أي ماردين). الاب ماركار الديار بكري». ويشهد على الامر البطريرك ابراهام ارزيثان نفسهُ في قرار بخط يدهِ اثبتهُ في سجلّ القدَّاسات. والمطران ملكون ماركار احد آباء المجمع الذي عُقد في سنة تسقيفهِ لاقامة بطريرك على قيليقية فوقع الانتخاب على السيد ابراهام وعاد ملكون الى ماردين. ثمَّ وقع خلاف بينهُ وبين السيد البطريرك المذكور لبعض مسائل قانونيَّة فرُفع الامر الى الكرسيّ الرسوليّ الذي حلّ ذلك المشكل. وكانت وفاة السيد ماركار في ماردين في ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٦٧ وعمرهُ ٧٢ سنة بعد ان دبَّر الكرسيّ ٢٧ سنة ودُفن كشقيقهِ في كنيسة مار جرجس

٤ (اوهانيس طازباز) كان مولدهُ بماردين سنة ١٧١٧ وقد تخرَّج في رومية بالمدرسة الاوربانيَّة ثمَّ أقامهُ الكرسيّ الرسوليّ مطرانًا على ماردين في ٣٠ نيسان سنة ١٧٦٨ فخلف السيد ملكون ماركار وكانت سيامتهُ في دير سيدة بزمار بوضع يد السيد ميخائيل بطرس الثالث بطريرك قيليقية. لكنَّهُ بعد ان ساس ابرشيَّتهُ سنة واحدة استعفى وقصد رومية العظمى حيث عاش عيشة صالحة وتوفي برائحة القداسة في ٣ نيسان سنة ١٧٧٣ ودُفن في كنيسة القديسة مريم المصريَّة

٥ (يوسف بليط) ولد في حلب سنة ١٧٢٥ ودرس في المدرسة الاوربانيَّة. ثمَّ اختارهُ الكرسيّ الرسولي لتدبير ابرشيَّة ماردين قبل وفاة سلفهِ في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٧٧٢ وسامهُ السيّد ميخائيل الثالث في بزمار في السنة عينها. وبعد ان تولَّى تدبير رعيَّتهِ زمناً قليلا امرهُ المجمع المقدَّس بان يذهب الى بغداد لفحص قضيَّة يوحنَّا هرمس وكان وقع خلاف بينهُ وبين الكلدان في تلك الناحية. وعند عودتهِ من بغداد أُصيب في طريقهِ بداء عضال اودى بحياتهِ في الموصل او في كركوك في اوائل شهر آب من السنة ١٧٧٣ وفي تاريخ الورتيد مانوئيل يجعل اسقفيَّتهُ اربع سنوات

٦ (بطرس يغازاريان) هو ابن حجي بوغوص من انقره كان مولدهُ سنة ١٧٢٩ ثمَّ تلقَّى العلوم في رومية في مدرسة انتشار الايمان وكان منتظماً في سلك الرهبانيَّة الانطونيانيَّة وقد تعيَّن لكرسيّ ماردين في ١٥ حزيران سنة ١٧٧٥ وسامهُ مطرانًا في ٢٦ تشرين الثاني من السنة في دير سيّدة بزمار غبطة البطريرك ميخائيل بطرس الثالث وادار شؤون رعيَّتهِ اربع عشرة سنة الى وفاتهِ في ١١ تموز سنة ١٧٨٧ وقُبر في مدفن المطارنة

٧ (يواكيم طازباز) وُلد في ماردين في ٨ ايلول سنة ١٧٥٣ وتخرَّج في آداب الكهنوت في المدرسة الاوربانيَّة. وعُرف بهمَّتهِ فاختارهُ الكرسيّ الرسولي كخلف لبطرس على كرسيّ ماردين في ٢٣ ايلول ١٧٨٨ لكنَّ سيامتهُ تأخَّرت الى ١٦ آب وقيل الى ١٤ ايلول ١٧٨٩ حيث سامهُ بطريرك قيليقية السيّد غريغوريوس الخامس. وكان يواكيم رجلًا مقداماً ذا نشاط ونفوذ لكنَّهُ كان منفردًا برأيهِ يتصرَّف في ابرشيَّتهِ كما شاء غير مكترث لسلطة رؤسائهِ حتَّى اضطرَّ الكرسيّ الرسولي بان يجعل حدودًا لاستبدادهِ فعهد الى السيّد البطريرك بان يلحظهُ بعين ساهرة. توفيَّ يواكيم في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٨٣٦ بعد ٤٨ سنة قضاها في منصبهِ ودُفن في مدفن سلفائهِ في كنيسة ماردين

٨ (ابراهام قنديليان) ابراهام ريتال يراغام وُلد في بلدة آلاشكرد سنة ١٧٦٧ وهو ايضاً من تلامذة المدرسة الاوربانيَّة في رومية. ثمَّ اختارهُ المطران يواكيم سالفهُ بصفة معاون لهُ ورقَّاهُ الى درجة الاسقفيَّة على دوليقة وهي دثريك والاصحّ ديريك. وكان يواكيم سقَّف ابراهام دون رخصة السيّد البطريرك فحصل بسبب ذلك بينهما نفور اوجب رفع الدعوى الى مرجع أعلى فحكم البابا غريغوريوس السادس عشر بان يُجعَل

ابراهام اسقفاً شرقياً على اورفا. وبقي معاوناً ليراكيم الى مماته فلما توفي يراكيم أقيم ابراهام خلفاً له سنة ١٨٣٦ وعاش بعد ذلك سنتين وكانت وفاتهُ في ٢٨ كانون الاوّل سنة ١٨٣٨ ودُفن مع اسلافهِ

٩ (يوسف فرّا) هو حلبي الاصل وُلد سنة ١٧٨٦ درس في دير سيدة بزمّار وكان من كهنة اخويّة هذا الدير. ثمَّ عيّنهُ الكرسيّ الرسوليّ ليكون معاوناً للمطران ابراهام قنديليان وفوّض الامر الى السيّد البطريرك غريغوريوس بطرس السادس. وفي اثناء ذلك مات السيّد ابراهام وتعيّن ليخلفهُ في رتبتهِ فسيم في ١٥ تموز ١٨٣٨ فتولّى تدبير ابرشيّتهِ مدّةً ثمَّ استعفى ولزم وطنهُ حلب وفيها توفّي في ٧ ايلول ١٨٥٤ . وكان الكرسيّ الرسولي في مدّة استعفائهِ يعهد تدبير الابرشيّة الى نوّاب يعيّنهم

١٠ (جبرائيل شاشاتي) كان من حلب كسلفهِ وُلد سنة ١٨١١ وتخرّج في مدرسة بزمّار وفيها سيم كاهناً. ولمّا مات السيّد يوسف وقع عليهِ الانتخاب لتدبير ابرشيّة ماردين في ١٢ أيّار ١٨٥٥ وفي ثاني يوم انتخابهِ رقّاهُ البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن الى درجة المطرانيّة بحفلةٍ شائقة. ثمَّ دبّر أمور كرسيّهِ بنشاط وادخل في ابرشيّتهِ عدّة اصلاحات ماديّة وادبيّة برضا ومساعدة السيّد البطريرك. وكانت وفاتهُ في غرّة سنة ١٨٦٣ ولُحد في مدفن اسلافهِ

١١ (ملكون تازريان) وُلد في ماردين في ٨ كانون الاوّل ١٨٣٠ وبعد ان درس مدّة في دير سيدة بزمّار أُرسل الى المدرسة الاوربانيّة. وفي شهر وفاة سلفهِ اختارهُ السيّد البطريرك غريغوريوس الثامن لكرسيّ ماردين في ٣٠ كانون الاول ١٨٦٣ اما سيامتهُ فكانت في ٥ أيّار سنة ١٨٦٤ . وكان من أرباب الفضل والمدارك البعيدة دبّر ابرشيّتهُ بكل غيرة وتقيّ مدّة ٣٦ سنة ومن أعمالهِ انهُ شيّد في ماردين كنيسة ثانية لطائفتهِ على اسم القديس يوسف البتول. ولمّا خلا الكرسيّ البطريركي بوفاة السيّد غريغوريوس الثامن وكّلهُ الكرسي الرسولي بالنيابة البطريركيّة. توفّي السيد ملكون في ١١ تشرين الاوّل سنة ١٩٠٠

١٢ (هوسيك كوليان) هو سيادة المطران الحالي. وُلد في ماردين في ٢ آذار سنة ١٨٤٤ وأخذ العلوم الكهنوتيّة في دير سيدة بزمّار. وكان انتخابهُ لكرسيّ مطرانيّة ماردين في الاستانة اختارهُ البطريرك بولس بطرس عمانوئيليان في مجمع رؤساء الاساقفة

واساقفة الطائفة مع تثبيت الكرسيّ الرسولي وكانت سيامتهُ في ٦ تموز ١٩٠٢ وسيادتهُ لا يزال يبذل العناية في اتمام واجبات منصبهِ وتحسين شؤون مرؤوسيهِ. حفظهُ الله لابنائهِ الكرام بالسعد والاقبال

فترى ممَّا سبق ان رؤساء اساقفة ماردين ابتداء من ملكون طازباز كان يجري انتخابهم وتثبيتهم رأساً من الكرسيّ الرسولي امَّا رسامتهم فكانت تتمّ حسب الطقس الارمني بوضع يد احد الاساقفة الكاثوليك وبقي الامر كذلك الى ان أقيم السيّد ابراهام ارزيفيان بطريركاً على الارمن الكاثوليك فخوَّلهُ الكرسيّ الرسولي السلطة على ثلثة مطارنة كان احدهم ملكون ماركار رئيس اساقفة ماردين فحدث بسبب ذلك بعض مناقشات حكم فيها الكرسيّ الرسولي فجعل حق الانتخاب والتثبيت والرسامة للسيّد البطريرك مع السلطة على كرسي ماردين. وعلى هذا المنوال صار انتخاب المطرانين جبرائيل شاشاتي وملكون نازاريان. امَّا الآن فبمقتضى النظامات والترقيات الحاليَّة التي تمّ كلّ ابرشيَّات الطائفة الارمنيَّة صار الانتخاب من خواصّ مجمع السيد البطريرك ورؤساء الاساقفة واساقفة البطريركيَّة والتثبيت محفوظ للسدَّة الرسوليَّة ومن حقوق البطريرك تعيين الاشخاص الذي يمكن انتخابهم ورسامة المنتخبين. ومن العادات المرعيَّة انَّ الاكليروس والشعب يقدّمون ايضاً اسماء من يرشّحونهُ للاسقفيَّة. وهذه العادة بمثابة شهادة حسنة للمترشّحين تسبق الانتخاب

وكانت ابرشيَّة الارمن الكاثوليك في ماردين في بدء الامر صغيرةً لا تخرج عن دائرة سنجاقها الَّا قليلاً ثمَّ اتَّسع نطاقها شيئاً فشيئاً حتى اصبحت اليوم تشمل ما خلا سنجق ماردين كلّ قضاءات سنجق دير الزور شرقيّ نهر الفرات ثمَّ ولاية الموصل. امَّا ولايتا بغداد والبصرة فالارمن الكاثوليك فيهما كانوا تحت حكم السيّد البطريرك يديرهم باسمهِ رئيس موكّل بذلك. لكنَّ النظام الجديد قد ادخلهم ايضاً في طاعة رئيس اساقفة ماردين

وليس لابرشيَّة ماردين مدرسة اكليريكيَّة يتلقَّى فيها المترشّحون للكهنوت العلوم الكهنوتيَّة وهم في الغالب يتخرَّجون في مدرسة دير سيّدة بزمار اللهمَّ إلَّا البعض من الكهنة الذين درسوا في الابرشيَّة منفردين

ولكرسيّ ماردين كنيستان الواحدة قديمة الجد سبق القول في انَّها على اسم

القديس جرجس الشهيد وانما عُرفت باسم القديس غريغوريوس المنوّر. والثانية حديثة على اسم القديس يوسف

ومن أهمّ الرسالات المنوطة بابرشيّة ماردين رسالة تلّ ارمن وهي قرية تبعد عن ماردين نحو لربع ساعات جنوباً وكلّ اهلها ارمن كاثوليك ذوو ايمان حيّ وعيشة صالحة قسّة متفرّغون لاشغالهم ومنقطعون لخدمة خالقهم ولهم كنيسة على اسم القديس جرجس يقصدها الزوّار من كلّ صوب

وعلى مقربة من ماردين دير على اسم القديسة بربارة وعن شمالها دير آخر على اسم القديس يوحنّا مرقعهُ على مشارف قرية مسكة في مكان يُدعى وادي الربّ (دريان دره) والديران كلاهما يخصّان الارمن انكاثوليك قد استولى عليهما الخراب لكنّ الذبيحة الالهيّة تُقام فيهما كلّ سنة في يومَيْ عيديهما باحتفال شائق تحضرهُ الجموع الغفيرة من الزوّار

وشرقيّ جنوبي ماردين مدينة دارة الشهيرة بآثارها القديمة وهي اليوم قرية صغيرة فيها نحو مائة بيت من الارمن انكاثوليك وهم اعتنقوا الايمان سنة ١٨٥٦ ويرسلها مطران ماردين الذي يرسل لهم كهنة من وقت الى آخر. وكذلك في نصيبين قوم من الارمن انكاثوليك يخدمهم احد الكهنة ويوزّع عليهم الاسرار حيناً بعد آخر

وفي شرقيّ ماردين على ضفّة نهر الدجلة الغربيّة قصبة الجزيرة وهي التي كانت تدعى زيدا او بزبدا يفصلها عن ماردين سلسلة جبال طور عبدين. وهناك قليل من الارمن واكثر سكّان تلك النواحي اليعاقبة كما سبق. وكذلك عدد الارمن قليل شرقيّ شمالي ماردين في قصبة الصور وفيها قرى متعدّدة يسكنها الاكراد وبينهم بعض بيوت للارمن وهم متفرّقون

وغربي شرقي ماردين ناحية دير يك واهلها اكراد ونصارى منهم بضع مئين من الارمن انكاثوليك ولهم كنيسة على اسم السيدة يخدمها كاهن ارمني يبتّهُ مطران ماردين في كلّ ثلاث سنوات

ومن القريب بلدة ديران شهر للدعوة سابقاً بقسطنطية ومدينة رأس العين وهما على ضفّة نهر خابور فيهما جانب من الارمن انكاثوليك ولهم ايضاً كاهن من ماردين يتبدّل كل ثلث سنين

وعلى منحدر الخابور جنوباً تلّ كوران موقعها يشرف على النهر كان يسكنها سابقاً قومٌ من الارمن وفي سنة ١١٣٦ كان يحكم على اهلها اريوتر المسيحيّ . ومنها كان ايضاً احد بطاركة سيس السيّد يوحنّا العاشر الملقّب بالتلكورانيّ (١٤٨٩—١٥٢٤)

وقلنا ان ارمن ولاية الموصل يتبعون ابرشيّة ماردين وهم يبلغون نحو مئتي بيت ولهم كنيسة حديثة البناء

ونضرب صفحاً عن بغداد والبصرة وما في هاتين الولايتين من الارمن الكاثوليك اذ لم يجرِ فيهما النظام الجديد الذي يلحقهما بابرشيّة ماردين . وترى مما قلنا انّ لابرشيّة ماردين الارمنيّة شأناً عظيماً وانها من اوفر الابرشيّات الكاثوليكيّة فضلاً عما لاجدادهم من المآثر القديمة

(المشرق) في مقالة المونسنيور اكسندر بان بعض فوائد تاريخيّة عن اصل ماردين واخبارها نؤخرها لنستفيد منها في مقالة منفردة عن هذه المدينة

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

ومن مراثي السيد احمد البربير قولهُ في الامير منصور الشهابي لمّا توفي سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) :

سقا هذا الضريحَ سحابُ فضلٍ وعمَّم بالرضى مَنْ في ثراه
اميرًا كان في الدنيا شهابًا ومنصوراً على قوم عصاه
فان يكُ من جبرني قد توارى فحسبي ان قلبي قد حواهُ
فلمّا سار للفردوس فوراً وقرَّبهُ المهيمن واصطفاهُ
أتى تاريخهُ في بيت شعرٍ يودُّ البدرُ أن يُحلى سناهُ
فهملهُ وسجعهُ وكلُّ من الشطرين تاريخاً تراهُ
شهابُ الرحمة المولى عليهِ هوى للترب بدرٌ من رُباهُ

وكان لاحمد البربير تلامذة أخذوا عنهُ اخصُّهم السيد عبد اللطيف بن علي المكنّى بفتح الله المفتي البيروتي الحنفي وكان شاعراً إلّا انّ شعرهُ مفقود ومما يروى عنهُ قولهُ يمدح ميخائيل البحري لمّا جاء بيروت في ايام الجزّار :

ولمّا أتى البحريُّ بيروت زائرًا اليكم أهدى عقودًا من الشعر
فلا بدع أن أهدي له الدرَّ ناظمٌ فنا لك انَّ الدرّ يبدو من البحر

فأجابهُ البحري بابيات رويناها في المشرق (٣ : ١٧ : ١٨٠) . ومن الشعراء المسلمين الذين نظموا الشعر الجيّد في اوائل القرن التاسع عشر الشيخ الوفا قطب الدين عمر ابن محمّد البكري الدمياطي الاصل واليافيّ المولد ولد سنة ١١٧٣ ﻫ (١٧٦٨ م) في يافا ودرس على مشاهير شيوخ زمانهِ في وطنهِ ورحل إلى مصر وأخذ عن شيوخها . ثمَّ عاد الى غزَّة وتجوَّل في انحاء الشام والحجاز وتوفي في دمشق في غرَّة ذي الحجَّة سنة ١٢٣٣ (١٨١٨ م) وقد رثاهُ شاعر زمانهِ الذي ترجمهُ في اوانهِ الشيخ امين الجندي بقصيدة رنّانة اوَّلها :

ذيْ المنـايا ما لأسهمها ردُّ فما حيلتي والصبرُ قد دكَّهُ البُعدُ
دُهيتُ برُزْءٍ لا يُطاق مضـاؤُهُ وكربٍ وحزنٍ ما لنايتهِ حدُّ

وهي طويلة . ومن لطيف ما قالهُ فيهِ الشاعر نقولا الترك وقد ضمَّن فيهِ اسمهُ عُمر :

شمس العلوم تبدَّى نورًا الى كلّ راء
مقرُّها ضمن ميم ما بين عين وراء

اما تآليف السيد عُمر اليافي فاخصُّها ديوانهُ وبعض مخاطبات أُلحقت بديوانهِ (ص ٢٤١—٢٨٤) وقد عُني بطبع هذه الآثار حفيدهُ السيد عبد الكريم بن محمّد ابي نصر في المطبعة العلميَّة سنة ١٣١١ ﻫ (١٨٩٣ م) وهو مجموع واسع فيهِ قصائد متعددة دينيَّة على منهج المتصوّفين وكان السيد عُمر على الطريقة الخلوتية ولهُ في هذه الطرائق عدة رسائل منها رسالة في الطريقة النقشبنديَّة ورسالة في معنى التصرُّف والصوفيّ وغير ذلك . ومن ادبيَّاتهِ رسالة لهُ في الحضّ على برّ الوالدين . اما شعرهُ فهو رقيق اللفظ رشيق المعنى كثير التفنن فيهِ قسمٌ للموشَّحات والأدوار الغنائيَّة والخمريَّات وها نحن نورد منهُ طرَفًا تنويهًا بفضلهِ . قال في الاعتصام والثقة بالله :

انا بالله اعتصـاي لا ارى في ذاك شكًّا موقنًا ان لا سواه كاشفٌ ضرًّا وضنكا
راجيًا فيهِ نوالا ورشادًا ليس يُحكى لم ازل لله عبدًا وبهذا اتزكّى
ربِّ وفّقني لرشدٍ ثم هبْ لي منك ملكا واحمني من كلّ سوء وقني شرًّا وشركا
واصرف الاعداء عني واعمهم حتكًا ونتكا وانظر الذنب بلطفٍ وافكك الأكدار فكًّا
وأنلني كلّ فضلٍ من ضياء الشمس اذكى وأذقني يا الهي لذَّة القرب المزكّى

في رياض الأمن مما اخشى فملا وتركا ان ألطاف إلهي لي قالت خل عنكا
لا تدبر لك امرا نحن أولى بك منكا فاترك التدبير تنجو فأولو التدبير هلكى (١)

وله مستغيثاً مبتهلاً من قصيدة :

الهي الهي ليس الا ك يرتجى وحقك ما وافيت غيرك راجيا
ومن ذا الذي اشكو له سوء فاقتي ويعلم قبل المشتكى سوء حالها
لقد دكّ دهري طود قصري فأصبحت منازل قصري بالخطوب خواليا
وفرّق لي الخطب المبرّح اسهماً من الوجد والتبريح فيها رمانيا
وشنّ لي الغارات تترى وقد غدت علي بوادي الجور تعدو العواديا
فيا ربّ ما للعبد في الدهر ملتجى سواك فاني بالتضرع لاجيا
تدارك بألطاف وأسعفه بالمنى وحقق له فضلاً لديك الامانيا

ومن جيد قوله ما كتبه في برّ الوالدين :

كم جرّ برّ الوالدين فوائداً للمرء جمّه
منها رضى الله الذي يكفي الفتى ما قد أهمّه
واخو العقوق كئيب قد صار في الأحياء رمّه
والكلب احسن حالةً منه وأحفظ منه ذمّه

ومثله ما قال :

فاز بالدارين سادي الحسنيين طاعة الله وبرّ الوالدين
فاغتنم برّهما واصبر له فهما في الدهر ليسا خالدين
طالما جادا بإحسانهما لك والاحسانُ عند الحرّ دَين

وقال من قصيدة يمدح فيها سليمان باشا لمّا وُلّي دمشق :

هي دولةُ المولى سليمان الزما ن ومن حوى في عزّه تقديما
فكأنّ جلقَ اصبحت ذاتَ العما دِ الى العبادِ وجنّةً ونعيما
لاحت كواكب سعدها من دولةٍ قد خيّمت بسعودها تخييما
بدرٌ بدولتنا الليّة لاح من فلكِ السعود متمّماً تتميما
ولهُ السعادةُ في منازلِ جلّقٍ ولهُ الامارة سُلّمت تسليما
ساس الورى بسياسةٍ وفراسةٍ وحماسةٍ وغدا بذاكَ حكيما
الله اكبرُ جلّ ناصرهُ الذي اعطاهُ عزّاً في الانام جسيما
بشراهُ سوف يرى مقاماً فوق ذا وينالُ سعداً في الوجود عظيما

وله تاريخ في جلوس السلطان محمود الثاني سنة ١٧٩٣

(١) مرجع هذا قولهم في المثل السائر: المرء في التفكير والله في التدبير

جلوس سلطانا المسعودُ طالعهُ عيدٌ كبيرٌ لهُ في الملك تأييدُ
أبشر وبشر اذا ما أرّخوهُ وطبْ فالدهرُ اشرقَ والسلطان محمودُ

ومن محاسنهِ قولهُ في نوفرة على رأسها ليمونة :

ونوفرةٍ تبدي من الماء قامةً زهت بكمال الصفو حسنًا ومنظرا
عمودٌ من البلّور من فوق رأسهِ زُمرُّدةٌ خضراء تنثر جوهرا

ومن أوصافهِ قولهُ يذكر دير ضطّة من قرى الشام بين النبك والقريتين :

حادي الرَّكب سرّوحثّ المطيّه لديار العطا بدير العطيّه
فبتلكَ الربوع تلقى ربيع الـ ـأنس فاحت ازهارهـا البهريّه
جنّةٌ قد تزخرفت في رباها بثمارٍ من البهاء جنيّه
تجري من تحتها المياهُ بأنها ـر التهاني للواردين مريّه
وجواري المياه ترقصُ لمّا شبّ الريحُ يشجي منها الشجيّه
وغصون الرياض تختالُ تيهًا حيثُ غنت نسائم سحريّه
حبّذا حبّذا معاني الاغاني لتهاني المعالم الانسيّه
وبها لليها لوامعُ نورٍ بضياء من الجمال جليّه

وقد اشتهر بين المسلمين غير هؤلاء في الشعر والادب لكنّ قصائدهم وتآليفهم لا تزال في خزائن الخاصّة او اخذتها ايدي الضياع نذكر منهم من اتصل بهِ علمنا بمطالعة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة (ستأتي البقيّة)

خلود النفس

للاب لويس شرفواليو اليسوعي (تتمّة)

وربَّ قائل يقول: وهَبْ انَّ اصوات الامم تتّفق في تعليم حقيقة خلود النفس أفلم يتّهم ايضًا بين الفلاسفة واصحاب العقول النيّرة رجال انكروا هذه القضيّة وما ادراكَ انهم لم يصدقوا في قولهم

نجيب انهُ ليس من حقيقة أيًّا كانت لم يتصدَّ لها بعض اهل السفسطة . ولكن هيهات ان يقوى قولهم على اقوال ذوي المدارك السامية والعقول الراجحة . نعم لا نجهل انَّ افرادًا من البشر وهم الملحدون والزنادقة حاولوا نقض حقيقة الخلود لكنّ اصواتهم ضاعت في بيداء فلم يرنّ لها صدًى في القلوب السليمة والافهام الزكيّة . وكثيرًا ما

دُهش هؤلاء من اقرادهم فارعووا ولاسيّما في ساعة البلاء أو بازاء الموت فزيّفوا أقوالهم السابقة ونسبوها الى الجهل وطر الشباب وغلبة الاهواء التي أعمت عقولهم واسكتت صراخ ضميرهم . وكفاك لتقويض آراء هؤلاء المخدوعين قول أكبر فلاسفة الوثنيّة افلاطون الذي كرّر غير مرّة في تآليفه ما ثبت هنا لبابهُ :

« قد خُلق الانسان للحكمة فاذا لم يجدها طاش سهمهُ وفُقدت غايتهُ . والموت هو الذي يجرّدهُ عمّا يصدّهُ عن اكتساب الحكمة أعني النقائص والرذائل التي تشوّه النفس فاذا مات وانفصل ونجا عن قسمه الهيولي ادركت نفسهُ الحكمة . . وكذلك العلم فانّ النفس لا تنالهُ الّا بهدوء الحواسّ لانّ الحواسّ اكبر عائق يعوقها عن الفوز بالمعلومات . وهي ستصيبهُ تمامًا دون انقطاع اذا ما خرجت من حبس جسدها الفاني . . . وكذلك لا بدّ للابرار الصالحين من جزاء وثواب وللطالحين من عقاب وكلا الامرين لا يحصل في هذا العالم الّا يسيرًا فلا بُدّ اذن من مكان تُنقل اليه النفس بعد انفكاك جسدها لتلقى فيه عدلاً تامًّا »

هذا ما قالهُ افلاطون في كتابه المسمّى « فيدون » وقولهُ عين الحقيقة ارشدهُ اليه عقلهُ الصائب وكُنّا نقول من بعده : رعاك الله من فيلسوف صادق نطق لسانهُ بما يوافقهُ على صحّته كل امرئ نافذ البصيرة ثاقب الرأي

*

وما لنا نستفتي الشعوب ونقرع ابواب الفلاسفة أليس في مقدس قولنا وفي سويداء قلوبنا مجيبٌ صادقٌ لا يخدعنا فيكرّر صوتهُ على مسامعنا ليلًا مع نهار : « كلّا لن تموت بل تحيا »

اذا اعتبرنا بعين الحكم والعقل ما يتركّب منهُ شخصنا لوجدنا فينا قسمًا قابلًا للتغير تتلاعب فيه الأيام وصروف الدهر ولا ندعهُ يومًا في حالة ثابتة . ذلك جسدي المركّب من عناصر ماديّة متعدّدة منقسمة متناقضة تثور فيها انواء الحياة فلا تزال تدكّ اركانها وتبادر محاصنها الى ان تفرّق مجموعها وتبدّد شتاتها . لكنّ وراء هذا القسم المادّي نفسًا بسيطة لا تقبل الانقسام روحيّة مجرّدة عن المشاعر والمحسوسات تراها اذا قابلتها مع الجسم اكرم جوهرًا وافضل طباعًا فيها من الخواصّ الشريفة ما هو أسمى وأجلّ من خواصّ الاجسام كيف لا وهي تدرك المعقولات وتفهم الكليّات فيجرّد

نظرها الى انسان فرد تحكم في كلّ انسان. تقابل بين امرين وتجد الحكم في توافقهما او منافاتهما. وان كانت تأخذ مبادئ العلوم عن الحواسّ فانّ لها من ذاتها مبادئ أخرى وافعالًا لا تستعيرها عن الحواسّ البتّة وهي المبادئ العالية الاوّليّة التي تبني عليها القياسات الصحيحة. وتدرك ما خلا ذلك معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم وليست تحتاج في ادراك ذاتها الى شيء آخر غير ذاتها. وان اخذت شيئاً من الحواسّ ربّما كذّبته او اصلحت خطأه كما تفعل في حكمها عن المنظورات البعيدة فتقضي بأن حجمها وصورتها ولونها ليس كما يظهر لها بالحواسّ

وما يقال في العقل يصدق في الارادة فانّنا نشعر بان الله خصّ نفسنا بحريّة العمل بحيث لا يمكن القوّة ان تقهرها وان وقع الاغتصاب على الجسد فانّ للنفس قوّة تفوق كلّ القوى الماديّة

فان كانت النفس كذلك تراها القوى العالية الشريفة ولا تقبل انعداماً وان خُصّت بحياة روحيّة لا تحتاج فيها لجسم ولا لغذاء فليتَ شعري كيف يمكنها ان تتلاشى او تموت ولا شيء من المخلوقات قادر على ان يعمل في جوهرها البسيط الروحيّ. فلا يبقى الّا ان يُقال بانّ الخالق الذي خلقها هو هو الذي يفنيها ويعيدها الى العدم كما خلقها من العدم

ولكن على رسلك ياصاح كيف رعاك الله تستطيع ان تثبت كون الخالق يُعيد النفس الى العدم أيمكنك بيان الامر نقلًا او تبيّنهُ عقلًا. وكلا الامرين باطل فان النصوص المنقولة والاسفار المقدّسة تؤيد الامر فضلًا عن كونها لا تنكرهُ البتّة. وكذلك اتفاق المشترعين في سُنَنهم والامم في تقاليدها يدلُّ على ان هذه الحقيقة راقية الى الوحي الاوّل في بدء الخليقة

وزد على ذلك ان العقل ليس بقادر على تعليل هذا القول وبيان سبب يوجب الخالق على إعدام النفوس وملاشاتها. لا بل يوضح العقل بانّ الله يريد خلود النفس ويخلّدها فان امعنت النظر في النظام الطبيعيّ الذي وضعهُ الخالق تجد ان العالم الهيولي لا يزال في تقلّب متواصل واستحالات متوالية ومع كلّ ذلك لا ترى ذرّة واحدة من المادّة تتلاشى وتعود الى العدم ولقا يجري عليها فقط تحويلها من حالة الى حالة. وهذا مبدأ راهن من مبادئ علم الكيمياء يثبتهُ العلماء كلّ يوم بالاختبارات العديدة قليت

شعري كيف يمكن الخالق الذي يصون المادَّة ولا يبيد دقائقها الى العدم أن يُعدم ما هو اشرف واعظم وابقى من المادَّة نريد نفس الانسان الجوهريَّة المصنوعة على شبه الخالق في نطقها وادراكها

ومن المبادئ المقرَّرة ايضاً في الفلسفة انَّ الله سبحانهُ وتعالى لا يطبع في قلب الانسان ميلًا غريزيًا الَّا ويحقق ميلهُ وامنيَّتهُ فعلًا. وفي قلب المرء الناطق ميلٌ غريزيٌ الى معرفة كلّ حقيقة والى اجراء العدل التام والى نوال السعادة الكاملة. وكلّ هذه الاميال لا ينال منها المرء في حياتهِ الَّا النزر الزهيد فلا بدَّ اذن ان تلقى النفس شبهها منها في حياة أُخرى

قلنا انَّ في النفس ميلًا غريزيًا الى معرفة كلّ حقيقة. خُلق الانسان ناطقًا فهيمًا فتراهُ يبحث ما امكنهُ على ادراك المعارف واحراز العلوم يتصفَّح الكتب ويتأثر اعقاب الطبيعة في كلّ مظاهرها فيرصد الافلاك ويهبط الى اغوار البحار ويقطع المفاوز ويجاهل البلاد لعلَّهُ يجد شيئاً جديداً يضيفهُ الى معارفهِ. لكنَّ نطاق العلوم لا يزال كلّ يوم يتَّسع فمهما نال منها لا يكون الَّا كنقطة في بحر فسيحٌ الأيام وهو يدنو من الموت ويرى عقلهُ لم يُصب من الحقائق الَّا ما لا يُعبأ بهِ فلا يكاد يدري الَّا انهُ لا يدري. أفيكون الخالق جعل فيهِ هذا الميل غير المتناهي الى معرفة الحقائق ليزيد بهِ عذابهُ؟ أفيليق بعزَّتهِ تعالى ان يفتح في قلبهِ هوَّةً كهذه دون ان يملأها ويسدَّ عوزها. كلَّا ثمَّ كلَّا

وكذلك شوق النفس الى العدل. فانها غريزة في اعماق قلبنا الذي لا يسكن ولا يخمد الَّا اذا اصاب كلٌ حقَّهُ. فانَّ كلَّ ما يخلُّ بالعدل ويتجاوز الحقوق يؤثر فينا ويقلق افكارنا فلا نرضى حتى نرى الحقوق مرعيَّة فيثاب البارّ ويُعاقب الاثيم وتُكسر شوكة المتعجرف ويرتفع الوضيع ويُقهر الظالم ويزكّى المظلوم. ولكن هيهات ان يتمّ ذلك في عالمنا الحاضر اذ يشبع الاشرار خيرًا فيعيشون مُتنعمين مهنَّأين مكرَّمين لا يردعهم رادع ولا يكفهم زاجر والابرار على خلاف ذلك تراهم يحملون اعباء الحياة ويعيشون خاملين مهملين مكروبين يرشفون كأس الاوجاع والآلام لا يشعر احد بما يقاسونهُ من الشدائد الَّا الله خالقهم. فاذا رأى الانسان هذا الفساد بقي مرتابًا من عدلهِ تعالى لا يقرُّ لهُ قرار الى ان يشخص بنظرهِ الى العالم الآتي حيث تصيب كلُّ نفسٍ ما تستحقُّهُ من الثواب او العذاب ولولا ذلك بقي عدل الله مظلومًا لا يظهر

صلاحهُ وبغضهُ للخطيئة وحبُّهُ للفضيلة وبرُّهُ لو قصر الانسان نظرهُ الى هذه الحياة الفانية

ومثلهُ ميل الانسان الغريزيّ الى السعادة. سرْ حيثما تشاء. اسأل من تُريد. تعقَّب حركات كلّ فرد من افراد الجنس البشريّ ترَ انَّ المرء لا يُفكِّر ولا ينطق ولا يعمل الّا لغاية واحدة هي سعادتهُ فيلتمس الخير لنفسهِ من كلّ وجوههِ وربَّما خُدع بالخيرات المحسوسة واللذّات الباطلة فطلبها وهو يشعر انَّ الحقّ في الدسم. وعلى كلّ حال تجد المرء في كلّ أعمالهِ يطلب السعادة وان غشَّتهُ ظواهرها. لكنّ السعادة الحاضرة سواء كانت في الخيرات الزائلة من غنًى ولذّات وجاه عالمي او في الخيرات الصحيحة من فضيلة وقيام بالواجبات وتضحية النفس لخدمة الوطن والقريب وعدول عن السيّئات لا تفي بمطلوب المرء ولا تسكّن ما في قلبهِ من الشوق الى النعيم والسعادة ما لم يتحقَّق انَّ بعد هذه الحياة حياةً أُخرى يحظى فيها بما لم يجدهُ في عالمهِ الحاضر فينال تلك السعادة التي طبع الله في قلبهِ الميل اليها. فان كان ذلك الميل اساساً بلا مسمًّى لا يثق الانسان بحياةٍ أُخرى وامكنهُ ان ينسب الى الله خالق الطبيعة الخلف في مواعيدهِ. فايُّ سعادة يأتي للانسان في هذه دار الفناء؟ اسمع ما كتب أيوب (ف ١٤): «الانسان مولود المرأة قليل الأيام كثير الشقاء. كزهر ينبت ثمَّ يُقطع وكظلّ يبرح ولا يقف... الشجرة لها رجاء فانَّها اذا قُطعت تخلف ايضاً وفراخها لا تزول واذا تعتَّق في الارض اصلها ومات في التراب جذرُها فمن استرواح الماء تفرّخ وتنبت فروعاً كالغريسة. اما الرجل فاذا مات لبث هناك والبشر متى فاضت روحهُ فأين يوجد». وهذا صوت الوجع والكدر لا يخرج فقط من افواه الموجوعين الذين لا يذوقون في حياتهم غير المرارة والشقاء بل هو ايضاً صوت الذين ارخوا العنان لكل شهوات قلوبهم واشتاروا عسل الافراح واللذّات فتراهم يقرُّون مع سليمان الحكيم انهم قد خابوا في امانيهم وحبطوا في مساعيهم لانهم لم يجدوا في كلّ الامور الدنيويّة من مجد وشرف وسلطة وغنى ولذّات الّا النتَّة والكدر فباطل الاباطيل وكلّ شيء باطل. فيالله ألم يفتح في قلب الانسان هذه الهاوية الواسعة الّا ليلقيهُ في اليأس والقنوط. فحاشا لله أن يكون الخالق بنى آمالنا على جرف هارٍ وحاشا جلالهُ أن يلقي الانسان في شقاء أمرَّ من الموت

ولعلَّ البعض يطلبون نفسهم بادراك السعادة مع تقدُّم العلوم وترقّي الاكتشافات

ألا ترى كل يوم ما يأتينا بهِ العلم من الوسائل لسرعة المواصلات ولتعميم الخيرات ونشر اسباب الرفاهيَّة . أين كانت الكهربائية قبل عصرنا ؟ أين كان البخار ؟ فها انَّ الانسان يطير بلا اجنحة ، يُسمع صوتهُ الى اقاصي المعمور يعرف في لمحة عين ما يجري في اربع خوافق العالم يتقلَّب بين عجائب الاختراعات . فليس من علم او فنّ او صنعة الَّا نالت من التقدُّم ما لم يكن في الحسبان أفليس ذلك ضامناً مؤكداً لاكتشافات جديدة يفوق بها الانسان على كلّ مشقَّات الحياة فيفوز باقصى درجة من السعادة

هذا ما يقولهُ ويكتبهُ بعض الجهَلة الأغرار وهم لا يعلمون ما يقولون . فهَبْ أن الاختراعات تتضاعف والاكتشافات تتزايد واسباب المعاش تتحسَّن والعاهات تخفّ فأين كلّ ذلك من السعادة . ولو سرَّحنا النظر في العالم لوجدنا البلايا والمصائب تفاقمت في عهدنا فضلاً عن كونها لم تخفّ . وقد نجمت من حالة الشعوب وترقّيها في سلَّم الحضارة أنصاب ورزايا جديدة تبعد الانسان عمَّا يأملهُ من الرفاهيَّة . وكفى بالموت وحدهُ شاغلاً يشغلهُ عن افراح العالم كلّها ولو صفتْ من بقيَّة الاكدار . فهيهات هيهات ان تسدّ هذه الاكتشافات مسدّ حاجات المرء ان لم نَقُلْ انَّها زادت في عنائهِ وشقائهِ

هذه بعض ادلَّة تبيّن ان النفس مخلَّدة لا تموت وان اردت بعض الحجج التي يأرز بها الفلاسفة لاثبات هذه القضيَّة أوردناها باختصار تأييداً لما سبق

يقولون اوَّلاً انَّهُ لمقرَّر انَّ النفس ليست بجسم ولا عَرَض وانَّها جوهر بسيط وما كان كذلك لا يقبل الانحلال فالنفس اذاً لا تنحلّ

يقولون ثانياً : وهو قول افلاطون يشبهُ القول السابق : انَّ كلّ فاسد انَّما يفسد من قبل رداءة فيهِ والهيولى هو معدن الرداءة فلمَّا كانت النفس مجرَّدة من الهيولى فلا بُدَّ ان يُقال ان النفس غير قابلة الفساد وما لا يقبل الفساد لا يقبل العدم . وان قيل ان الخطيئة تفسد النفس كان الجواب ان هذا الفساد عرضٌ يمكن ان تجلوهُ عنها برجوعها الى الخير

يقولون ثالثاً وهو ايضاً من اقوال افلاطون : انَّ النفس تعطي ابداً كلّ ما تُوجدُ فيهِ حياةً وكلُّ ما يُعطي الحياة ابداً لا يوجد فيهِ فالحياة جوهريَّة لهُ . وما كانت الحياة جوهريَّة لهُ لا يمكن ان يقبل ضدَّها وضد الحياة الموت

ولا يقولنَّ قائل انَّ النفس اذا انفصلت عن الجسم لا يمكنها العمل لانَّ الجسد آلتها

وبه تتمُّ كلّ اعمالها وهذه الاعمال مصدر سعادتها فانَّ هذا القول باطل قال ابن مسكويه في كتاب الفوز الاصغر (ص ٨٠) :

« نعتقد جميع ما يعدُّهُ معاشر البشر سعادةً ونحن في هذه الابدان ملابسين الطبيعة ونحبُّ لذَّة في جميع الحواس ومن كل الجهات فهي كلها كالظل والشبح مما هو اعلى منّا لأنَّهُ فيض من هناك وهو كامل تام محض وان كنَّا لا نتصوَّرهُ حقّ تصوره . وكما اذا نظرنا الآن ونحن اناس مخلصون في احوالنا التي كانت لنا في الطفوليَّة والرضاع في حال ما كنا اجنَّة في بطون الامهات واطباق الارحام وما كنا نعدُّهُ سعادة ونكره مفارقتهُ حقرنا تلك الامور وتجاوزنا ذكرها اتقة منها وترفُّعاً عنها كذلك تكون حالنا بعد مفارقة الابدان فحينئذٍ نستهين جميع هذه الاشياء التي هي الان سعاداتنا ونأنف منها . وكذلك النفس اذا حصلت منفردة بذاتها خالصة من كدر الطبيعة ودرنها صار لها وجود آخر اشرف من الوجود الانساني ومرتبة اعلى من المرتبة البشريَّة وتكون سعادتها مناسبة لاحوالها . ومثل النفس في ذلك مثل الفرُّوج الذي يكون اولاً في البيضة فاذا استكملت صورته ألقى منهُ قشوره وتصوَّر بصورة أُخرى اشرف من الصورة الاولى الّا ان النفس يحصل لها بمفارقة البدن صورة تلذّ منها بحسب ما اقتنتهُ وكسبتهُ وتحصل جميع هذه الاشياء على هيئة تصورها اما سعيدة واما شقية وقد كنّا بيَّنا ان للنفس العاقلة فعلاً يخصها في ذاتها وانهُ هو الذي يكملها ويسوقها الى سعادتها وذكرنا ما هو وكيف هو فمتى عاقها عن سعادتها وفي عوقه اياها حطَّها عن مرتبتها وبحسب ذلك الحط يكون شقاؤها »

فلا يبقى للانسان الّا ان يتزَّه نفسهُ عن الحواسّ ويصرفها الى ما يزيدها صلاحاً وجودةً فيحظى يوماً بذلك النعيم الذي لم تنظرهُ عين انسان ولم يخطر على قلب بشر

نصرانيَّة غسَّان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

لسنا ممَّن يخاصم في الدفاع عن الحقيقة . فانَّ للحقّ نوراً ساطعاً ربَّما حجبتهُ سُحُب الاهواء البشريَّة زمناً الى ان يكشف بقوَّة اشعَّته تلك الغيوم فيبدّدها ويعود الى رونقه وبهائه

على انَّهُ في بعض الامور لا يمكن الانسان ان يصيب الحق بتمامه وانَّما يستدلّ عليهِ بدلائل تختلف قوَّة وعدداً فيبرز في ذلك حكمهُ مرجحاً لرأيه على رأي غيره ريثما يأتي بعده آخر فيزيد القضيَّة وضوحاً بما اكتشفهُ من الآثار . وهذا الامر في التواريخ اصدق منهُ في غيره

كنّا في العام الماضي أوردنا قصيدةً مجهولةً للسمؤل الشاعر الشهير اثبتناها على علّاتها كما وجدها الانكليزي مرشفلد بالحرف العبراني واثبتها العلّامة مرغوليوث بالحرف العربيّ في المجلّة الاسيويّة الانكليزيّة (المشرق ٩ : ٤٨٢) ولمّا سألنا افاضل القرّاء ان يساعدونا في البحث عن نسخة ثانية لهذه القصيدة لتصلح روايتها السقيمة كان اول من اجاب الى ملتمسنا جناب الموصليّ داود ارميا مقدسيلو السريانيّ الكاثوليكيّ (المشرق ٩ : ٦٧٢) فاتانا برواية اضبط واصحّ ازالت عددًا كبيرًا من اغلاط الرواية الاولى. وكان آخر هذه القصيدة بيت يدلّ على نصرانيّة الشاعر وهو :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلامَ التكامل

فختمنا هذه الرواية بقولنا « وان كان البيت الاخير صحيحًا صدق ظنّنا السابق بان السمؤل نصرانيّ لا يهوديّ لاسيّما ان اصلهُ من بني غسّان وبنو غسّان نصارى » وكنّا ابدينا الرجاء لجناب المراسل بان يزيدنا علمًا في تعريف نسختهِ وقد تأخر الجواب الى هذه الأيام الاخيرة حيث كتب لنا جنابهُ في تاريخ ٢٧ نيسان بما حرفهُ « انّ المجموع الذي اخذتُ قصيدة السمؤل عنهُ يرتقي عهدهُ الى ما فوق المائتي سنة » وزاد ايضاحات أخرى لا حاجة الى ذكرها

وفي نيسان من السنة الجارية ارشدنا حضرة مكاتبنا المهام الاب انستاس الكرمليّ المعروف بتفنّن ابحاثهِ الى نسخة ثانية من قصيدة السمؤل اصحّ من الروايتين اثبتناها كما وجدناها في خطّ حضرتهِ الذي نقلها عن نسخة كُتبت في مجموع قصائد يرتقي تاريخهُ الى ٩٠ سنة. والقصيدة هناك تُروى لسمؤل آخر احد بني قريظة اليهود غير السمؤل الغسّاني والبيت الاخير ليس مثبتًا فيها. فرويْنا كلّ ذلك دون ان نبتّ فيهِ رأيًا قاطعًا تاركين الحكم لمن هو اعلم منّا بالآثار القديمة

على ان احد البغاددة حمل قولنا هذا مع بساطتهِ الباهرة على التعصّب فكتب في مجلّة مصريّة فصلًا مطوّلًا ادّعى فيهِ « اننا نحلّ قيد من تقيّد بدين ونجبرهُ على النصرانيّة قبل أم أبى » فهذه كما ترى تهمة كبيرة لا يجوز لنا السكوت عنها. ولمّا كان في الفصل المذكور شكاوى متعدّدة لا يمكننا الخوض فيها كلها لا في مقالة ولا في مقالتين. بل لا في كتاب واسع ولا في كتابين مجتزئ في هذه المجالة بالبحث عن المسألتين السابقتين اعني تنصيرنا للسمؤل اليهوديّ شاء ام أبى. والثانية حكمنا الباطل في تديّن غسّان كلّها

بالنصرانيَّة. وغاية ما نتمنَّى ان يمنحنا الله أيَّاماً قليلة نتفرَّغ فيها لتنقيح ما جمعناهُ في هذا الصدد من عدد لا يُحصى من الآثار والمخطوطات والمطبوعات السريانيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة فضلاً عن التآليف العربية التي امكنَّا الوقوف عليها في خزائن الكتب الاوربيَّة وغيرها

ولنباشرنَّ بالمسألة الاولى التي لا تطيل فيها الكلام لسهولة الجواب على شطط الكاتب. قال جنابهُ انَّنا نصَّرنا السؤل مع اجماع الكتبة على يهوديَّته . فعلى رسلك ياصاح غاية ما قلناهُ في نصرانيَّة هذا الشاعر مبنيَّة على حجَّتين الاولى « ظنَّية » قلنا انَّنا « ظننَّا سابقاً بانهُ نصرانيّ لكونهِ من غسَّان وغسَّان نصارى » أفي هذا القول تشنيع للسؤل شاء أم أبى. وكلٌّ يعرف انَّ « الظنّ » يدلّ على الشكّ والريب لا على تيقن الامور والقطع بها وليس ظنُّنا هذا محمولاً على الوهم بل سندناهُ الى دليل وسيط نطاقاً اعني نصرانيَّة غسَّان وسيأتي الكلام عنها في جوابنا على الشكوى الثانية

ثمَّ اتينا بحجَّة ثانية لبيان نصرانيَّة السؤل وهي البيت الذي ورد في النسخة الموصلية عن مجيء المسيح حيث قال :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فأهدى بني الدنيا سلامَ التكامُل

فقسنا منهُ قياساً شرطيًّا فقلنا « ان كان البيت الاخير صحيحاً صدق ظنُّنا السابق بان السؤل نصرانيّ » فأيُّ شطط في هذا القياس وكلّ منطقيّ يعلم ان الاقيسة الشرطية لا تصحُّ فيها النتيجة الَّا بصحَّة وقوع الشرط. ألا ترى اني لم انسب النصرانيَّة الى السؤل الَّا على شرط صحَّة هذا البيت فان قال المناظر انَّ البيت مصنوع واثبت قولهُ بحجج راهنة سلَّمنا بقولهِ دون ان نُصاب بسهم ملامتهِ او ملامة غيرهِ . ولكن كيف يثبت جناب الكاتب التزوير لصاحب النسخة الموصليَّة وهذه النسخة اقدم من النسخة البغداديَّة بمائة سنة فما ادرانا لعلَّ صاحب النسخة البغداديَّة لم يحذف البيت الاخير الذي يمكنهُ ان يُعدَّ احسن ختام لقصيدة تُذكر فيها آلاء الله مع شعبهِ اذ انجز مواعيدهُ على لسان الانبياء فجاء المسيح بتمَّة الكمال والفضل بعد سُنَّة العدل. تقول كلّ ذلك على فرض صحَّة النسخة الموصلية

فيرى القارئ انَّنا لم نتجاوز حقوقنا في شيء ولم نتعدَّ طورنا في كلامنا عن السؤل ولم نتضرهُ شاء أم أبى

بقي علينا أن نفحص المسألة الثانية اعني نصرانيَّة غسَّان فانَّ الكاتب البغدادي يزعم اننا بنسبتنا النصرانيَّة لغسَّان قد ركبنا شططاً. وقبل اثبات قولنا بالبرهان لا نرى بدًّا من انكار ما رواهُ عن لساننا ممَّا لم نقل بهِ وهو انَّنا بقولنا انَّ غسَّان كانوا نصارى اردنا «كلَّ» غسَّان وكذلك قولنا عن تميم وكندة وربيعة وغيرهم فانَّ الكاتب يدَّعي بأنَّنا نسبنا النصرانيَّة اليهم «كلّهم» فما لهُ رعاهُ الله لم يدلّ على الصفحة من تآليفنا حيث عمَّمنا هذا التعميم لكلّ غسَّان او لكلّ تميم او لكلّ كندة. فانهُ لو كان اورد كلامنا بنصّهِ لامكنهُ ان يزيّفهُ فيشهد القرَّاء على صدق قوله في مبالغتنا. ولا بأس ان قلنا ان غسَّان او بكر او ربيعة كانوا نصارى فهذا القول هو نفس قول كتبة العرب بالحرف يمكن تعليمهُ على القبيلة وان كان قوم منها لم يتبعوها في دينها وذلك على مثال قولنا عن الفرنسيس انَّهم كاثوليك وان كان منهم قسم صغير لا يتبع الكثلكة. او كقولنا: فلان أكل الدجاجة كلّها وان لم يأكل عظامها

فهلمَّ الآن بنا نثبت نصرانيَّة غسَّان. وان شئت قُلْ غسَّان كلّها. وان امكن وجود بعض افراد منها او عشائر منها لم يكونوا نصارى فانَّ الكلام عن الاغلبيـة كما قلنا. ولاثبات زعمنا لا نركن فقط الى اقوال مؤرخي العرب ونحن نعلم انَّ كتبة العرب لم يدوّنوا تاريخاً صحيحاً قبل القرن الثامن وانَّما ننقل اقوال من يُوثق بهم من كتبة اليونان والرومان اذ كانوا معاصرين للحوادث التي فصَّلوا اخبارها وامكنهم الوقوف على صحَّتها إمَّا بالمعاينة وإمَّا بصوت العموم

غسَّان قبيلة يمنيَّة قدمت جهات الشام بعد انفجار سدّ مأرب وسيل العرم فاستوطنتها ثمَّ تغلَّبت على اهلها فصار اليها الامر وعلى قول كتبة العرب كان الامر قبل غسَّان لبني سليح وقبل بني سليح لتنوخ وهم يجعلون تنوخ وبني سليح نصارى. قال اليعقوبي في تاريخهِ (١: ٤٣٤) عن تنوخ: «كانت قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملَّكوهم فكان اوَّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم . . . . . فدخلوا في دين النصرانية فملَّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب». ثمَّ قال المسعودي في مروج الذهب عن بني سليح (٣: ٢١٦) : «وردت سليح الشام فتغلَّبت على تنوخ وتنصَّرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام»

هذا ما قالهُ العرب عمَّن تقدَّم الغسانيين في الشام رويناهُ على علاَّتهِ وان تتبَّعنا

آثار النصرانية في كتبهم وجدناهم يذكرون لملوك غسان الاولين ابنية تدلُّ على نصرانيتهم فانَّ المسعوديَّ وأبا الفداء وحمزة الاصفهانيَّ والنويري وغيرهم يؤكدون عن ملكهم الثاني عمرو بنَ جبلة انهُ « بنى بالشام عدَّة ديورة منها دير هند ودير حالى ودير أيوب » ثمَّ ذكروا للايهم بن الحارث بن جبلة اخو المنذر الاكبر انهُ « بنى دير ضخم ودير البنوة ». وممَّن اشار الى نصرانية غسان النابغة في بيتهِ الشهير حيث ذكر عيد الشعانين فقال :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيَّونَ بالريحان يوم السباسب

ومن الشواهد عن نصرانيَّة غسَّان قول اليعقوبيَّ من كتبة القرن العاشر للمسيح حيث قال (ص ٢٩٨) : « واما من تنصَّر من احياء العرب فقومٌ من قريش . . . . . ومن اليمن طيّ ومذحج وبجراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » . نعم انهُ قال قبل ذلك : « وتهوَّد قومٌ من بني الحارث بن كعب وقوم من غسَّان » . فاستثنى من غسَّان « قوماً » اي فئة وافرادًا وسنعود الى ذلك قريباً

وقال السيوطيّ في المزهر نقلًا عن كتاب الألفاظ والحروف بانَّ اللغة العربيَّة لم تؤخذ من قبائل شتَّى الى ان قال انَّها لم تؤخذ « ولا من قضاعة وغسَّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيَّة » يريد بالعبرانيَّة السريانيَّة الفلسطينيَّة

هذا بعض ما علق في ذهن العرب عن نصرانيَّة غسَّان لمَّا اخذوا بتدوين التاريخ اعني بعض الهجرة بنيف ومئة سنة ولعلَّهُ كافٍ ليقنع بشيوع النصرانية بين الغسَّانيين. فلنسمعنَّ الآن بعض اقوال مؤرخي اليونان واللاتين الذين كتبوا منذ القرن الرابع الى القرن السابع اعني قبل العرب بثلثمائة سنة فانَّ اقوالهم جديرة بالاعتبار وهم معاصرون للامور التي كتبوا عنها

١ اوَّل شاهد عن نصرانيَّة غسان تأخذهُ من التاريخ الرومانيّ . اتَّفق اليوم المؤرخون على انَّ غسَّان كانت ماكثةً على بلاد الشام لمَّا غلبتَ النصرانيَّة على اديان الامم بتنصُّر قسطنطين الكبير. فان كانت القبائل التي سبقت هذا العهد من تنوخ وسليح في أيام اضطهادات القياصرة على قول العرب قد تنصَّرت فما تولك بغسَّان التي كانت في أيام انتصار النصرانيَّة وفي عهد قياصرة نصارى

٢ لنا شاهد ثانٍ في تواريخ المجامع النصرانيَّة الاولى كنيقية وقسطنطينيَّة

وأفسوس وخلقيدونية نائنا نجد نحو عشرة اساقفة من بلاد غسان حضروا تلك المجامع وأمضوا اعمالها بتوقيعهم فلولا امتداد النصرانيَّة في تلك الجهات لما توفَّرت الكراسي الاسقفية تلك الى هذا الحدّ وقد تضاعف هذا العدد بعد ذلك في القرن السادس واوائل السابع . ولا غروَ لأنَّ بلاد غسان كانت مجاورة اكثر من سواها من اقطار العرب لاكثر نصرانيَّة مهنَّة لاسيما دمشق وفلسطين

٣ والشاهد الثالث نجده في تواريخ سوزومان (ك ٦ ف ٣٨) وسوقراط (ك ٤ ف ٣٠) وروفينوس (ك ١١ ف ٦) وثاودوريطس (ك ٤ ف ٢١) وغيرهم كثيرين فانهم يروون تنصُّر عرب الشام على يد السيَّاح الذين كانوا في تلك الجهات في اواسط القرن الرابع في عهد الامبراطور والنس . وكان رجوع كثيرين منهم الى الايمان في عهد ملكهم المدعو « زوقوم » (Ζοκομος) وهو « ضجعم » كما يُظنّ وهو الذي ينسب اليه مؤرخو العرب دير داود (١ . فيروي هؤلاء الكتبة انَّ الله رزقهُ بدعاء أولئك النسَّاك ولدًا ذكرًا فتنصَّر ونصَّر معهُ قسمًا كبيرًا من شعبه

ثمَّ صار الامر من بعده الى ماريَّة أو ماوية فهذه حاربت الرومان في عهد القيصر والنس السابق ذكرهُ فغلبت جيوشهم غير مرَّة ولم يخمد لظى الحرب إلى ان رضي القيصر بما اشترطتهُ عليه . وكان من أول شروطها ان يُسقَّف على قبائلها سائح يُدعى موسى كان متعبِّدًا لله في بادية الشام . فأجاب إلى طلبها وكان موسى كاثوليكيًّا محضًا مبغضًا لشيعة آريوس فسقَّف واصل اعمال النصرانيَّة وعمَّد ما بقي من تلك القبائل دون عماد

٤ ومذ ذاك الحين إذا ورد اسم احد ملوك غسان امَّا في تواريخ السريان وامَّا في تواريخ اليونان واللاتين تجد الكتبة لسانًا واحدًا في وصفهم كنصارى يخصُّهم الكتبة بالالقاب الشرفية الممنوحة لهم من القياصرة فيُدْعَون بطارقة وامراء وذوي العزّ والدولة . وربَّما زادوا على هذه الألقاب ما دلَّ على دينهم فيدعونهم مؤمنين (ܚܟܝܡܐ ܕܡܗܝܡܢܐ ܣܓܝܐ) ومحبّي للمسيح (ܚܟܝܡܐ ܪܚܡܢܐ ܕܡܫܝܚܐ) وكذلك ورد في احد مخطوطات لندن اسم كاهن يُدعى « كاهن ذي العزَّة والمحب للمسيح البطريق المنذر بن الحارث »

(١ اطلب كتاب تلدكه من غسان (Die Gassanischen Fürsten, p. 8)

٥ وقد تأيد ذلك بما وُجد من الآثار في حوران واللجا والصفا من كتابات وهيا كل ونقوش تشهد بانتشار النصرانية في تلك الجهات منذ القرن الرابع. هذا فضلاً عن كتابات حجرية في اليونانية بينها كتابة عربية للملك المنذر يشهد باقامة معبد للقديس يوحنا المعمدان (له بقية)

مطبوعات بيزنطية جديدة

Lucien Choupin : Valeur des Décisions doctrinales et disciplinaires du St. Siège (SYLLABUS; INDEX: SAINT-OFFICE; GALILÉE. *Paris, G. Beauchesne et Cie*, 1907, pp. VII-388.

احكام الكرسي الرسولي وما يُقتضى لها من الخضوع

للاحبار الرومانيين في احكامهم وتقريراتهم طرائق شتّى يبلّغون فيها الكاثوليك اوامرهم فتارةً يحكمون حكماً قاطعاً بصفة كونهم نوّاب المسيح يملكون السلطة التامة للحلّ والربط كما نالها القديس بطرس هامة الرسل. وتارةً يوجهون للكنيسة رسائل ومناشير للتهذيب والتأديب. وحيناً يصادقون على الاحكام التي تبرزها الجمعيات الرومانيّة التي تساعد الحبر الرومانيّ في رعاية الكنيسة وسياستها وتكون هذه المصادقة اما خصوصيّة واما عموميّة وتلك الاوامر ليست كلها في رتبة واحدة فانّ منها ما يوجب الايمان كتعليم السيد المسيح والرسل ومنها ما يقتضي خضوع العقل وطاعة الارادة كما يستدعي المقامُ كلَّ حكم. وهاءنذا بكتاب غايتهُ بيان هذه الاحكام وما ينبغي لكلّ صنفٍ منها من الاذعان لئلّا يشطّ المؤمن عن واجبات ايمانه. وقد شرح المؤلف ذلك مستندًا الى مبادئ لاهوتيّة ثابتة تزيل كلّ شبهة والتباس. وزيادةً للوضوح اتّخذ بعض قرارات الكرسيّ الرسولي ليبيّن ما كان يتحتم بها على رعايا الكنيسة وايّ خطيئة كان يرتكبها من يأبى الخضوع لها. وهذه الابحاث من اصعب المطالب اللاهوتيّة الّا ان المؤلف قد اصاب في تعريف وجوهها وحسن تقسيمها وكشف معمّياتها د. ر

الكلام المذهب المستجاد في سيادة المطران يوحنّا مراد

جمع الخوري الفاضل لويس جبر شهوان التزيري (طُبع سنة ١٩٠٦ ص ١١١)

يحقّ بالبنين ان يفرحوا عند عودة ابيهم العزيز من سفر طويل فيثلّوا ما تكنّهُ قلوبهم

من العواطف نحو سيدهم وسندهم وعدّة وجودهم . وهذا في الآباء الروحيين احقّ واولى لعلوّ مقام الروح فوق الاجساد . فنعمّ ما فعل حضرة الخوري لويس جبر شهوان بجمعه في كتاب منفرد ما جادت به قرائح الشعراء والخطباء والادباء تهنئةً لرئيس اساقفتهم الجزيل الاحترام والفائق الشرف برجوعه الميمون إلى كرسيّ ابرشيّته بعد رحلته بمعية غبطة البطريرك المبجّل الى رومية وباريس والاستانة العلية في جملة ذلك الوفد الماروني الجليل الذي نال من مبرّات الكرسيّ الرسولي ومن ألطاف العرش الحميدي تلك النعم والامتيازات التي قدّرتها الطائفة كلها حقّ قدرها . فنهنئ الأب بابنائه ونهنئ الأبناء بابيهم ونطلب إلى الله ان يزيد الجميع عزًّا وتوفيقًا

السَّنَد

رسالة للمحامي افندي ابرهيم خلّف
مطبعة الارز « جونية » (١٩٠٢ ص ١٠٦)

السَّنَد احد فروع المعاملات التجاريّة المهمّة يقتضي درسهُ نظرًا دقيقًا ومعرفة تامّة بالحقوق وقوانينها . والتآليف العربيّة في ذلك قليلة لاسيما ما كان منها قريب المنال سهل المتناول . فأحسن الأديب ملحم ابرهيم خلّف الكاتب الاوّل في وكالة المحامي العمومي الاستئنافيّ في متصرفية جبل لبنان بوضع هذا الكتاب سدًّا للحاجة وضمّنهُ « أهمّ الملاحظات في احكام السند والسفتجة والحوالة مع صوَر كثيرة منها ومن الصكوك والاستدعاءات ومعاملات دائرة الاجراء وتعليمات محرّري المقاولات وقوانين الافلاس الخ » ومن ملحقاته المفيدة جدولٌ طبعهُ في مطبعتنا وضمّنهُ اسماء قرى لبنان مرتبة على حروف الهجاء مع بيان مديريّاتها واقضيتها . ومنها ارجوزة الامام ابن التفنة في الفرائض وهذه المنظومة هي المعروفة بالرحبية . فنثني على همّة المؤلف ونتمنّى لكتابه رواجًا

تاريخ عائلة الحلو

تأليف الدكتور رشيد شكر الله الحلو
طُبع في المطبعة اللبنانيّة في بيدا (١٩٠٦ ص ٤٨)

لا يزال تاريخ لبنان من اسقم التواريخ وذلك لقلّة ما لدينا من المعلومات في الأسر

القديمة والعائلات الكريمة. فاحسن مؤلف هذا الكرّاس إذ جمع فيه ما امكنهُ الحصول عليهِ من تاريخ عائلة الحلو اصلًا وفروعًا. فيا ليتَ أصحاب البيوت الشريفة يقتدون بهذا المثل ويدوّنون ما تصيبهُ همّتهم من اخبار أسرهم قبل ان تستولي عليها ايدي الضياع. ولا يخفى ما في جمع هذه الانساب من الفوائد لتاريخ لبنان واهلهِ في القرون التي سبقت زماننا

ديوان التلمساني

طبعة جديدة بعناية ونفقة المكتبة الاهلية

بيروت (١٣٢٥ ص ٨٨)

لشمس الدين التلمساني ديوان رشيق الألفاظ منسجم النظم تحلّق بحفاظهِ خواطر الأدباء وقد طُبع غير مرّة في مصر وبيروت وهذه طبعة جديدة تولّى نشرها صاحب المكتبة الاهلية وزادها حسناً بما اضاف اليها من تفسير الألفاظ اللغوية. ولولا ما غلب على هذا الديوان من الغزل لأوصينا بهِ ارباب المدارس ل. ش

شذرات

﴿ الماس الصناعي ﴾ قرأنا في المقتطف (مايو ١٩٠٧ ص ٣٥٣) فصلًا في الماس الطبيعي والماس الصناعي يردُّ فيهِ على شذرة اثبتناها في المشرق (١٠ : ٣٣٥) في صحّة اكتشاف الكيموي الفرنسوي موسان لطريقة عمل الماس. فاتى جناب الكاتب ببعض شواهد التقطها من مجلّات اوربية تثبت حقيقة الاكتشاف لكنهُ لم يتعرّض للمقالة المطوّلة التي كتبها الاب ده ڤراجيل (المشرق ٦ : ١٠٧٣) حيث بيّن ما قام من الخلاف بين العلماء في هذا الامر ثمّ اقرار موسان نفسهِ بعجزهِ عن ذلك (المشرق ٧ : ٤٧). ولمّا توفّي موسان منذ عهد قريب عادت المجلّات إلى اكتشافهِ لطريقة استحضار الماس فمنها من افكر ومنها من اثبت ومنها من ارتاب. وقد كتبنا للاب ده ڤراجيل وهو في لكلكتّة ليوقفنا على الخبر الصحيح

﴿ سلاسل القراءة ﴾ انَّ نفوس الاحداث ذات فطرة ساذجة شديدة اللين اذ

انطبع فيها شيء لا يكاد يمحوهُ الدهر . ولذلك يجب ان تكون الكتب المدارسيَّة التي توضع في ايدي الصغار خالية من كلّ خرافة سليمة الآداب صحيحة المذهب . وقبل أيام قليلة إذ رأينا ولدًا صغيرًا وفي يده كتاب المدرسيّ يتعلَّم فيهِ التهجئة أردنا ان نفحصهُ امام والديهِ ففتحنا الكتاب واذا هو السلسلة الاولى من سلاسل القراءة المزيَّنة بالصوَر لتعليم الصغار وكان اوَّل صفحة وقع عليها بصرنا الصفحة السادسة عشر حيث ترى صورة قرد قبيح المنظر فتهجَّى الولد من تحتها من الاسطر واذا فيها ما يلي :

هـذا قردٌ في غاب عند ضبٍ ان هـذا قردٌ لعب في جبّ
لهُ ذنب لهُ شعر معهُ جرو دار في بلد لهُ فهم مثل فهم ولد

فأخذنا العجب من هذه الالفاظ التي فضلًا عن ركاكة تعبيرها تنتهي بمسوغ تعليم. فيا لله أيليق بصاحب هذه الكرَّاسة ان يلقّن طفلًا صغيرًا تعليمًا كهذا فيجعل فهم القرد كفهم الولد . وما زادنا عجبًا انَّ الولد يدرس في مدرسة كاثوليكية كأنَّ أصحابها لم يجدوا كتابًا غير هذا ليجلبوهُ في ايدي الاحداث ولعلَّهم فعلوا ذلك جهلًا بما يحتوي الكتاب فتأمَّل :

أسئلة واجوبة

س سألنا احد الرهبان ما الفرق بين رتبة قصّ الشعر للرهبان وبينها للاكليريكيين . وهل تقوم الواحدة بدلًا من الاخرى

رتبة قصّ الشعر

ج كان قصّ الشعر في قرون النصرانيَّة الاولى كدليل على الزهد . واكثر ما شاع بين الرهبان والداخلين في الحالة الاكليريكيَّة . ثمَّ جعلت الكنيسة لذلك رتبةً مع صلوات خصوصيَّة دلالة على غاية طالبها واعتزالهِ عن العالم . وتخصيص ذاتهِ لخدمة الله . امَّا في العيشة الرهبانيَّة ولما في مصاف الاكليروس . والفرق بين الرتبتين عرضيّ . اذ ليست هذه الرتبة من الدرجات الاكليريكيَّة وانَّما هي كمقدَّمتها . ونظنُّ ان الرتبة الرهبانيَّة تقوم بدلًا من الرتبة الاكليريكيَّة والدليل عليهِ ان الكرسيّ الرسوليّ يرخّص لرؤساء الرهبانيَّات بان يمنحوها لرهبانهم

ل . ش